
أجاثا كريستي
الجثة الثانية
المكتبة الثقافية
بيروت - لبنان

الطبعة الثانية

أجاثا كريستي

الجثة الثانية

تعريب
عمر عبد العزيز أمين

المكتبة الثقافية
بيروت - لبنان

الطبعة الثانية

الجثة الثانية

- ١ -

كان ذلك في أحد أيام شهر يونيه ، وكنت قد فرغت من بعض أعمالي في باريس ، وركبت قطار البحر في طريقي إلى لندن .. أو على الأصح ، إلى المسكن الذي يشاركني الاقامة فيه البوليس السري البلجيكي هيركيول بوارو ..

وكان القطار وهو ينهب الأرض إلى ميناء كاليه ، يكاد يكون خالياً من المسافرين . ولم يكن في مقصورتي غير راكب – أعني راكبة – واحدة . وكنت مشغولاً بالنظر إلى حاجياتي لأطمئن على انني لم أغفل شيئاً في المحطة . وبسبب هذا الانشغال لم القِ بالاً إلى زميلتي في المقصورة حتى فوجئت بها تفتح زجاج النافذة وتطل برأسها قليلاً ..

ثم تتراجع وهي تهتف :

– اللعنة !

واعترف انني من الناس المحافظين ، أي من الذين يرون ان المرأة يجب أن تتصرف كامرأة ، ومن ثم لم يكن في مقدوري أن احتمل رؤية

هذا الجيل الجديد من الفتيات العصبيات اللاتي يدخن كالمداخن ، ويرقصن من منتصف الليل إلى الصباح ، ويتلفظن بعبارات تخجل منها نساء الموانيء !

وكانت زميلتي في المقصورة ، فتاة جميلة جريئة النظرات سوداء الشعر في نحو الثامنة عشرة من عمرها ، إلا أنها كانت مسرفة في تجميل وجهها وصبغ شفتيها .

ولم تخجل هي من نظراتي التي تنم عن الدهشة ، وإنما نظرت إلي متحدية وتمتمت بصوت لا يخلو من رنين السخرية :

– تباً لي ! يبدو انني صدمت هذا السيد المهذب ، انني اعتذر عن عبارتي غير المهذبة التي لا تليق بسيدة تحترم نفسها ، وما إلى هذا كله ، ولكن .. مهلاً أن لي العذر ، فإنني فقدت أختي في الزحام !

– أحقاً ؟ يا للأسف !

فعادت تقول بنفس الصوت الذي لا يخلو من رنين السخرية :

– انه غير راض عني ، ولا عن أختي .. هذا السيد المهذب ، وهذا ولا شك ظلم مبين ، لأنه لم يرها .

وفتحت فمي لأرد ، ولكنها بادرتني قائلة :

– لا تقل شيئاً ، ليس في هذه الدنيا من يحبني ، لسوف أعيش في الغابة وآكل ورق الشجر ، لقد تحطمت كل آمالي .

وأخفت وجهها وراء صحيفة فرنسية فكاهية . وبعد لحظة أو نحوها اخذت تختلس النظر إلي من فوق حافتها ، ولم يسعني إلا أن ابتسم .

وسرعان ما القت بالصحيفة جانباً وانطلقت تضحك بمرح وسعادة ، ثم قالت :

– انك لست ثقيل الظل كما كنت أظن .

وكانت ضحكاتها نابعة من أعماقها بحيث وجدت نفسي أضحك معها متجاوزاً عن عبارة « ثقيل الظل » .

وعادت وهي تقول :

– أعتقد اننا الآن صديقان .

ثم اردفت بعد قليل :

– الواقع إنني أميل اليك ، لقد ملت اليك منذ أن وقعت نظراتي عليك ، ولكن بدا عليك الاشمئزاز من كلمتي حتى ظننت إننا لن نتفاهم كصديقين اطلاقاً .

فابتسمت قائلا :

– ولكن هذا ما حدث ، أخبريني بشيء عن نفسك .

– إنني ممثلة .. لا ، لست من الطراز الذي تعرفه ، لقد بدأت حياتي على خشبة المسرح منذ كنت في السادسة من عمري ، العب !

– ماذا ؟

– ألم تر في حياتك أطفالاً يقومون بألعاب بهلوانية ؟

– آه . فهمت ؟

– انني أمريكية المولد ، ولكنني أمضيت معظم حياتي في لندن ، وقد تعاقدت وأختي الآن مع مسرح جديد .

– انت واختك ؟

– نعم ، نغني ونرقص ونلقي بعض الفكاهات ، ونقوم ببعض الألعاب البهلوانية ، إنها شيء جديد ، ولكننا نظفر بالنجاح دائماً و ..

واخذت تتحدث عن عملها بعبارات وتعبيرات لم أفهم معظمها ، ولكنني كنت سعيداً بحديثها ، لأنها كانت تجمع في نظري بين براءة الطفولة ، وشقاوة المراهقة ، وخفة ظل الفتاة الجميلة الجذابة التي لا تشبع العين عن النظر اليها .

وانساب القطار في منطقة ليون ، واثارت هذه المنطقة الكثير من الذكريات في ذهني .

ولحظت زميلتي شرود نظراتي فسألت :

– هل تفكر في ذكريات الحرب !

– نعم ..

– اظن انك اشتركت فيها ؟

– إلى حد كبير ، وقد جرحت مرة . وبعد دنكرك ، تركت الخدمة العسكرية بسبب اعتلال صحتي ، وانا الآن أعمل كسكرتير لأحد أعضاء البرلمان .

– إن هذا العمل يحتاج إلى ذكاء ومقدرة .

– لا لا .. ليس إلى هذا الحد ، انني لا اعمل اكثر من ساعتين في اليوم ، وفي اثناء العطلة البرلمانية لا أعمل اطلاقاً ، وهو في مجموعه عمل مثير للملل ، ولست أدري ماذا كنت أفعل بحياتي لو لم يكن لي عمل آخر ، او هواية أخرى .

– لا تقل انك تجمع الطوابع ؟

– لا .. انني اشترك في السكنى مع رجل مدهش ، بلجيكي الجنسية ، وضابط مباحث سابق ، لقد افتتح مكتبا خاصا في لندن ، وهو ناجح فيه ، والواقع انه اعجوبة في الذكاء ، وكثيراً ما تفوق على رجال المباحث الرسميين في كشف أسرار بعض الجرائم الغامضة .

وانصتت زميلتي بعينين مليئتين بالدهشة ، ثم قالت :

– اليس هذا رائعا ؟ انني شديدة الشغف بالحوادث البوليسية ، ولا يكاد يفوتني فيلم بوليسي ، واعترف انني اقرأ في الصحف ، اول ما أقرأ ، حوادث الجرائم .

فأومأت برأسي وأخذت اقف عليها ما فعله بوارو في الكشف عن بعض الجرائم ، وظلت هي تنصت الي في عجب حتى وصل القطار إلى محطة ميناء كاليه .

وهنا افترقنا وهبطت هي من القطار وصافحتني قائلة :

– طاب يومك ، لسوف اعنى بعد ذلك بتهذيب كلماتي . .

– ولكن .. لماذا لا تظلين معي حتى اهتم بأمرك اثناء عبورنا القنال ؟

– اني مضطرة للبحث عن اختي ، ولن اعود إلى لندن إلا بعد ان أعثر عليها ، وداعا ..

– لا لا .. لا بد أن نلتقي مرة أخرى ، ألا تذكرين لي اسمك ؟

وبدأ القطار يتحرك ..

وضحكت هي قائلة :

– إن اسمي سندريللا ؟

ولم أعرف يومذاك متى او أين سأرى سندريللا هذه مرة أخرى ..

- ٢ -

وفي اليوم التالي كانت الساعة قد تجاوزت التاسعة بخمس دقائق عندما دخلت غرفة الجلوس المشتركة لأتناول طعام الافطار ، فوجدت صاحبي بوارو جالساً يكسر بيضته الثانية في طعام الافطار .

جلست إلى المائدة وقلت :

- هل من جديد يا بوارو ؟

فهز رأسه في غير مبالاة وقال :

- إنني لم أقرأ بريد اليوم بعد ، وأكبر الظن انني لن أجد فيه ما يثير الاهتمام ، إن مجرمي هذه الأيام لم يعودوا مبتكرين في أساليبهم كمجرمي الايام الغابرة .

وهز رأسه في أسى ..

وضحكت أنا قائلاً :

- لا تيأس يا صديقي ، فربما تغير الحظ ، افتح خطاباتك ، فربما وجدت شيئاً يثير اهتمامك ؟

وراح بوارو يفض خطاباته وهو يقول :

- فاتورة .. وفاتورة اخرى ، وثالثة .. يبدو انني أصبحت مسرفاً في شيخوختي ، وهذه رسالة من صديقي المفتش جاب ، انه يشكرني على معاونتي له في قضية ايرزويرث . آه .. ما هذا ؟

وتغير صوت بوارو ، وسمعت في رنينه نبرات الاهتمام ، وبعد ان قرأ الرسالة التي كانت في يده ، قدمها إليّ قائلاً :

— هذه الرسالة تثير الاهتمام فعلاً .. اقرأها بنفسك .

« فيللا جنيفييف . مصيف مير لينفيل :

« سيدي العزيز . انني في حاجة إلى مساعدة أحد رجال المباحث الخصوصيين ، وسوف تعرف السبب بعد أن اذكره لك ، الذي يحملني لا الجأ إلى رجال المباحث الرسميين .

« لقد سمعت عنك من مصادر كثيرة ، كما قرأت في الصحف عن القضايا التي كشفت أسرار الجرائم فيها ، كما تأكدت من انك رجل كتوم للسر . وأنا لا أريد أن أكتب عن أسراري في رسالة بريدية ، ولكنني أقول انني أعيش في خوف دائم على حياتي ، وأعتقد أن الخطر وشيك ، ولهذ أرجو منك أن تسرع بالحضور إلى فرنسا لحمايتي .

« ولسوف أرسل سيارة لاستقبالك في ميناء كاليه واحضارك إلى مسكني إذا أنت أبرقت إليّ بموعد وصولك ، وإنما أرجو أن تترك كل أعمالك الحاضرة وتكرس نفسك تماماً لحمايتي ، وأنا على استعداد لأن أدفع لك جميع الأتعاب والنفقات اللازمة .

« ومن المحتمل اني سأطلب خدماتك لمدة طويلة ، وقد أرسلك إلى سنتياجو بجمهورية شيلي ، حيث سبق أن أمضيت سنوات طويلة من عمري ويسرني أن تحدد المبالغ اللازمة لاتعابك بلا قيد ولا شرط .

« المخلص ب. ت رينولد »

ورأيت تحت الامضاء هذه الملاحظة : « ارجو بحق الله أن تحضر » ، وكانت وكتوبة بسرعة وبخط لا يكاد يبدو واضحاً .

واعدت الرسالة إلى بوارو في اضطراب وقلت :

— هنا على الأقل شيء يثير الاهتمام .

– أعتقد هذا .

– لسوف نذهب طبعاً !

وأومأ بوارو برأسه .

وأخيراً بدا كأنه عقد العزم على شيء ما ، فنظر في ساعته وقد ارتسم الجد على وجهه وهو يقول :

– ليس لدينا وقت نضيعه ، إن قطار القارة السريع سيتحرك من محطة فيكتوريا في الحادية عشرة صباحاً ، لا ترتبك ، فلدينا ما يكفي من الوقت ، بل لدينا نحو عشر دقائق يمكن أن نخصصها للمناقشة في هذا الأمر ، لسوف تأتي معي طبعاً .

ثم أردف بعد قليل :

– يبدو لي أن اسم رينولد غير غريب علي .

– أعرف مليونيراً وافداً من أمريكا الجنوبية يسمى رينولد ، ولا أدري إن كان هو نفسه مرسل الخطاب أم ..

– لا شك انه هو .. وهذا يفسر قوله انه قد يرسلني إلى سنتياجو بجمهورية شيلي ، وشيلي في امريكا الجنوبية كما تعلم ، إننا نتقدم بسرعة ، ما رأيك في الملاحظة التي جاءت تحت الامضاء ؟

فقلت بعد ان فكرت برهة :

– يبدو أنه كتب الرسالة وهو متمالك أعصابه ، فلما فرغ منها ، كانت أعصابه قد اضطربت ، فجاءت الملاحظة الأخيرة بخط مضطرب .

– هذا هو رأيي أيضاً ، ومن ثم ينبغي أن نسرع إلى نجدة هذا الرجل الذي ارسل يستغيث بي

– ولكن أين يقع مصيف ميير لينفيل ؟

– انه مصيف صغير أنيق يقع في الطريق بين كاليه وبولون .

– وأعتقد أن المستر رينولد بيتاً في انجلترا ؟

— نعم .. إن له قصر في منطقة رتلاندجيت ، وقصراً آخر في الريف ، بالقرب من هيرتفوشير . ولكنني في الواقع لا أعرف عنه إلا القليل جداً ، فهو قليل الاختلاط بالمجتمع ، وأعتقد أن له ثروة ضخمة يستثمرها في شيلي حيث أمضى معظم سنوات حياته .

— حسناً .. لسوف تعرف جميع التفاصيل من الرجل نفسه .. هلم نعد حاجياتنا في الحقائب ، يكفي أن يحمل كل منا حقيبة سفر صغيرة ، ثم سيارة مأجورة إلى المحطة .

وتحرك بنا القطار السريع في تمام الحادية عشرة من محطة فكتوريا في طريقه إلى ميناء دوفر .

وكان بوارو قد ارسل برقية من المحطة إلى المستر رينولد يخبره فيها بموعد وصولنا إلى كاليه .

ولما عبرنا قنال المانش ووصلنا إلى كاليه ، لم نجد — للأسف — أية سيارة في انتظارنا .

وظن بوارو أن البرقية لم تصل في الموعد المناسب ، ومن ثم قرر أن نمضي إلى ميرلينفيل في سيارة مأجورة .

وفي الطريق قال بوارو وهو يهز رأسه :

— اني أشعر بالانقباض !

— لماذا ؟

— لا أدري .. ولكنه احساس داخلي .. يخيل لي أننا سوف نصل بعد فوات الاوان .

وكان يتحدث بلهجة جادة حزينة جعلتني أشاركه نفس الشعور ، ثم أردف قائلاً :

— ويخيل لي أيضاً أن الأمور ستتطور إلى مشكلات معقدة تحتاج إلى بضعة أيام لحلها وكشف غوامضها .

وقبل ان ارد عليه كنا قد وصلنا إلى مـدينة مير لينفيل الصغيرة وشرعنا نسأل عن الطريق إلى فيللا جنيفييف .

وقال لنا أحد المارة :

– انها تقع في الجانب الآخر من المدينـة .. بالقرب من شاطىء البحر ، أو على مسافة نصف ميل من هنا . وهي فيللا كبيرة كأنهـا قصر صغير ..

واستأنفنا السير تاركين المدينة وراءنا حتى وصلنا إلى مفترق للطرق ، فتوقفنا وسألنا أحد المزارعين ، وكان يقترب منا ، عن الطريق المؤدي إلى الفيللا .

وكان ثمة فيللا على الطريق الأيمن بالقرب منا ، إلا أنها كانت صغيرة وخالية من مظاهر الترف والثراء .

وفيما نحن نتحدث مع المزارع رأيت فتاة تقف بباب الفيللا وتنظر الينا .

أما المزارع فقد كان يقول للسائق :

– إن فيللا جينفييف على مسافة قصيرة من هنـــا ، وراء المنعطف القريب على اليمين .

وشكره السائق واستأنف السير ، ولكن نظراتي ظلت عالقة بالفتاة التي كانت واقفة بباب الفيللا الصغيرة ، واضعة يدها على جـانب الباب ، كانت طويلة القامة ، متناسقة الجسم كأنها إحدى آلهات الجمال ، وكان شعرها الذهبي المرسل يتألق في ضوء الشمس حتى اقسمت أنها أجمل فتـاة رأيتها في حياتي .

وقلت لبوارو بعد أن غابت الفتاه عن نظري :

– أرأيت يا بوارو هذه الآلهة الصغيرة !

فرد باسماً :

– أبهذه السرعة قد رأيت إلهة !

– أليست إحدى آلهات الجمال .

– لعلي لم أحسن النظر اليها !

– بل لقد رأيتها تماماً ..

فهز رأسه قائلاً :

– قلما يرى اثنان شيئاً واحداً بنفس القوة والاحساس ، فأنت مثلاً قد رأيت الهة جمال ، أما أنا ..

– أما انت

– فقد رأيت فتاة خائفة العينين !

وكانت السيارة قد توقفت أمام الفيللا ، فاقترب منا أحد رجال الشرطة وقال حين رآنا نهبط من السيارة :

– ممنوع الدخول .

فصحت قائلاً :

– ولكننا على موعد مع المستر رينولد ؟

وقال الشرطي ببساطة :

– ولكن المستر رينولد قتل هذا الصباح ؟

- ٣ -

وهتف بوارو وقد برقت عيناه :

— ماذا تقول ؟ متى .. وأين ؟

وشد الشرطي قامته وقال في تحد :

— انني لا أجيب على أسئلتك .

— حسناً .. لا شك أن مفتش الشرطة موجود بالداخل ؟

— نعم ..

وقدم بوارو للشرطي بطاقته قائلاً :

— هل تسمح بتقديم البطاقة لمفتش الشرطة ؟

وتناول الشرطي البطاقة ، وبعد أن قدمها لأحد زملائه ، غاب هذا بضع لحظات ، ثم عاد ومعه رجل ضخم الجسم كث الشارب وقال الرجل في حماس :

— يسرني انك حضرت ، لقد وصلت في الوقت المناسب .

وأشرق وجه بوارو قائلاً :

— المسيو بكس ! انني سعيد برؤيتك .. هذا صديقي الانجليزي الكابتن هاستنج .. هذا هو المسيو لوسيان بكس ، مفتش الشرطة ؟

وتبادلت مع المفتش بكس التحية ..

بينما استدار هذا إلى بوارو قائلاً :

– إني لم أرك منذ سنوات يا مسيو بوارو ، منــذ قضية أوستند التي ساعدتنا فيها كثيراً

ثم أردف قائلاً :

- لا شك أنك حضرت لأن لديك معلومات يمكن أن تفيدنا في كشف غموض هذه الجريمة .

– ألم تعرف انني دعيت للحضور على عجل .

– ومن الذي دعاك ؟

– القتيل .. يبدو انه كان يعرف أن هناك من يتهدد حياته .

فهتف الفرنسي قائلاً :

– يا إلهي ، إذن فقد كان يتوقع مصرعه ، إن هذا يقلب نظرياتنا رأساً على عقب .

ثم تقدمنا إلى داخل الفيللا وهو يستطرد قائلاً :

– يجب أن يعرف المسيو هوتيت – المحقق – بهذا فوراً ، لقد فرغ من فحص مسرح الجريمة وبدأ في التحقيق .

– متى وقعت الجريمة .

– لقد اكتشفنا الجثه في حوالي الساعة التاسعة هذا الصباح ، ولكن شهادة مدام رينولد والأطباء ترجح وقوع الجريمة قبل سبع ساعات ، أي في حوالي الثانية بعد منتصف الليل ، تفضلا بالدخول .

ودلفنا من الباب الأمامي إلى صالة فسيحة ، ورأينا شرطيــاً جــالساً بجوار باب غرفة جانبية . .

فسأله بكس قائلاً :

– أين المسيو هوتيت الآن ؟

– في الصالون يا سيدي .

وفتح بكس باب غرفة على اليسار ، وتقدمنـــا إلى حيث كان المسيو هوتيت – المحقق – جـالساً إلى مائدة صغيرة مستديرة وبجواره كاتب التحقيقات .

وكان المحقق رجلاً طويل القامة نحيل الجسم ثابت النظرات ، له لحية وخطها الشيب ، وبجوار المدفأة وقف رجل متهدل الكتفين علمنا انـه الدكتور ديورانت .

وبعد أن تم التعارف بيننا جميعاً ، قال المحقق :

– عجيب ما تقول يا مسيو بوارو ، الديك الرسالة التي بعث بهـا القتيل اليك ؟

وسلم بوارو اليه الرسالة .

وبعد أن قرأها قال :

– انه يشير فيها إلى أسرار خاصة ، ومع الأسف أنه لم يوضح نوع هذه الأسرار ، إننا نشكرك يا مسيو بوارو ويشرفنا أن تتعاون معنا في القبض على القاتل ، أم لعلك مضطر للعودة إلى لندن سريعاً !

– لا يا سيدي المحقق ، لسوف أبقى هنا حتى يتم القبض على القاتل ، وإذا كنت لم أصل في الوقت المناسب لحماية موكلي ، فلا أقل من العمل معكم للوصول إلى قاتله ؟

فانحنى المحقق قائلاً :

– إننا نشكر لك هذا الموقف الكريم ، وأعتقد أيضاً ان مدام رينولد تريد منك أن تبقى لتضع خدماتك تحت أمرها ، ونحن الآن في انتظار مفتش المباحث المسيو جيرود من إدارة الأمن ببـــاريس ، وأعتقد انك بالتعاون معه ستصلان إلى القاتل في أقرب وقت ، وفي خلال هذا يسرني أن تشهد معي التحقيق ، ويمكنك أن توجه أي سؤال إلى الشهود الذين سأجري معهم التحقيق .

فقال بوارو :

– انني أشكرك يا سيدي ، ولكنني في الوقت الحاضر لا أكاد أعرف شيئاً عن تفاصيل الجريمة .

فأومأ المحقق للمسيو بكس لكي يسرد تفاصيل الجريمة على بوارو ، وقال هذا :

– في هذا الصباح ، عندما هبطت الخادم العجوز فرانسواز لتبدأ عملها ، وجدت باب الفيللا الأمامي مفتوحاً على غير المعتاد ، وخشيت ان تكون الفيللا قد تعرضت للسرقة ، فأسرعت إلى قاعة الطعام حيث وجدت الأدوات الفضية في مكانها ، ومن ثم اطمأنت وظنت أن مخدومها خرج للتريض في ساعة مبكرة وترك الباب مفتوحاً سهواً .

– معذرة المقاطعة يا سيدي ، ولكن هل كان من عادته أن يخرج في الصباح للتريض !

– لا .. ولكن الخادم فرانسوز كانت تعتقد أن الانجليز قوم مجانين ، وأنهم يتصرفون عادة بأساليب شاذة ، ولما ذهبت لاستدعاء سيدتها فوجئت بالخادمة الشابة ليونيه تصرخ عندما اكتشفت أن مدام رينولد ملقاة في غرفة نومها مكممة الفم ، مقيدة اليدين ، وفي ذلك الوقت جاءت الأخبار باكتشاف جثة المستر رينولد ، وقد مات بطعنة خنجر في الظهر .

– أين ؟

– هذا هو أعجب جانب في الموضوع كله ، لقد عثر على الجثة ملقاة على وجهها في قبر مفتوح ؟

– ماذا ؟

– نعم .. في حفرة حديثة الحفر على مسافة خطوات قليلة خارج حدود أراضي الفيللا .

— وهل كانت الوفاة قد تمت منذ مدة طويلة .

وهنا أجاب الدكتور ديورانت :

— لقد فحصت الجثة في العاشرة من هذا الصباح وتبين لي أن الوفاة قد حدثت قبل ساعات على الأقل وعشر ساعات على الأكثر .

— هذا يعني أن الجريمة ارتكبت فيما بين منتصف الليل والثالثة صباحاً ؟

— تماماً .. وتقول المسز رينولد أنها ترجح وقوع الجريمة فيما بعد الساعة الثالثة ، ولقد تمت الوفاة فوراً ، وليس من المعقول أن تكون الحادثة انتحاراً .

وأومأ بوارو برأسه ..

بينما استطرد المسيو هوتيت حديثه قائلاً :

— بعد انقاذ مدام رينولد من القيود والكمامة ، كانت في حالة شديدة من الاضطراب والضعف ، ويبدو — من حديثها — ان اثنين مقنعين دخلا غرفة النوم وكماها وقيداها ، وارغما زوجها على الخروج معهما ، ونحن لم نعرف هذا منها شخصياً ، وإنما ذكرت ما حدث للخادمتين اللتين انقذتاها من الكمامة والقيود . ولما سمعت بوقوع الجريمة ، ازداد اضطرابها إلى حد أن الدكتور ديورانت قدم لها — عقب وصوله — بعض الحبوب المنومة المهدئة للأعصاب ، ولهذا لم نستطع أن نسألها حتى الآن ، ولكن المؤكد أنها ستصحو متمالكة أعصابها وقادرة على مواجهة الموقف .

وقال بوارو :

— وماذا عن المقيمين بالفيللا ؟

— إن بها الخادم العجوز فرانسواز ، وهي مديرة البيت ، وقد عاشت فيه سنوات طويلة مع أصحاب الفيللا السابقين ، ولما انتقلت ملكيتها إلى المستر رينولد ، استبقاها للعمل لديه . ثم هناك أيضاً الأختان دينيس وليونه اولارد ، وهما تسكنان في ميرلينفيل وتنحدران من

والدين محترمين جداً ، وكذلك سائق السيارة الذي جاء به المستر رينولد من انجلترا ، وهو الآن في إجازة . وأخيراً مدام رينولد ، والابن الشاب جاك رينولد الذي سافر في مهمة في الوقت الحاضر .

وأومأ بوارو برأسه ..

ونادى المحقق على أحد الشرطيين قائلاً :

– مارشود ؟

ولما أقبل الشرطي قال له المحقق :

– أحضر الينا فرانسواز !

وأقبلت فرانسواز ..

وكانت امرأة في العقد السادس من عمرها ، يطل الخوف من عينيهـا وهي تسمع المحقق يسألها :

– هل اسمك فرانسواز آرشيو ؟

– نعم يا سيدي ..

– منذ متى وأنت تعملين في هذه الفيللا ؟

– منذ أحد عشر عاماً مع أصحابها السابقين ، ولما اشتراها المستر رينولد قبلت البقاء للعمل لديه ، ولم أكن أتصور يوماً ..

– نعم .. نعم .. ولكن ما هي مسألة الباب الخارجي ؟ من هو المسؤل عن اغلاقه ليلاً؟

– أنا يا سيدي ، اني أحرص دائماً على اغلاقه ليلاً ؟

– وفي الليلة الماضية ؟

– أغلقته من الداخل كالمعتاد .

– هل أنت واثقة من هذا ؟

– كل الثقة .. وأقسم على هذا .

– كم كانت الساعة عندئذ !

– في الساعة المعتادة ، أي في نحو العاشرة والنصف مساء

– وماذا عن بقية المقيمين في الفيلا ؟ هل كانوا قد أووا إلى غرف نومهم ؟

– كانت مدام رينولد قد أوت إلى غرفتها قبل ذلك بوقت قصير ، وصعدت دينيس وليونيه إلى غرفتهما معي ، وبقي المسيو رينولد في غرفة مكتبه .

– إذن فالمستر رينولد هو الذي فتح الباب .

فهزت فرانسواز كتفيها وقالت :

– ولماذا يفعل هذا ما دمت أنا قد أغلقته قبل أن اصعد إلى غرفتي ، إن الذي يفتح الباب ليدخل منه اللصوص وقطاع الطرق لا بد أن يكون سفيهاً !

ولم يكن سيدي سفيهاً .. ولكن لعله فعل هذا عندما خرجت السيدة ..

وهنا قاطعها المحقق بحدة قائلاً :

– السيدة ؟ أية سيدة تعنين ؟

– عجباً ؟ السيدة التي جاءت لزيارته ؟

– هل جاءت سيدة لزيارته أمس ؟

– نعم :. وكانت تزوره في أمسيات أخرى كثيرة .

– من هي هذه السيدة ؟ أتعرفينها ؟

وارتسمت نظرة ماكرة في عيني فرانسواز وهي تقول متذمرة :

– ومن أين لي أن أعرف ؟ اني لم أدخلها بنفسي ؟

فضرب المحقق المائدة بيده وصاح قائلاً :

– آه ؟ أتعبثين في الشهادة أمام الشرطة ؟ اني أطالبك بأن تذكري لنا فوراً اسم السيدة التي اعتادت أن تزوره في أمسيات كثيرة .

فهزت فرانسواز كتفيها وقالت :

– الشرطة .. الشرطة .. وما شأني أنا بهذا كله ، ان هذه السيدة هي مدام دوبريل .

فهتف المحقق قائلاً :

– مدام دوبريل .. ساكنة فيللا مرجريت القريبة من هنا .

– نعم يا سيدي .. إنها سيدة جميلة .

فأومأ المحقق برأسه وقال :

– إنها جميلة حقاً .. أليس كذلك ؟ إذن فقد كان بينهما وبين المسيو رينولد صلة ما ؟

– ومن أين لي أن أعرف ، ومع هذا فقد كان مليونيراً ، واسع الثراء . ومدام دوبريل ، سيدة فقيرة .. ولكنها جميلة وأنيقة جداً . وهي تعيش في هدوء مع ابنتها الشابة ، ولا شك أن لها ماضيها ؟ ورغم أنها تجاوزت مرحلة الشباب ، إلا انها على جمال باهر ، وقد ظهرت عليها في الأسابيع الأخيرة بوادر الثراء .. وكل سكان المدينة يعرفون هذه الحقيقة !

فسأل المحقق :

– وماذا كان موقف الزوجة مدام رينولد من هذه العلاقة ؟

فهزت فرانسواز كتفيها وقالت :

– كانت دائماً رقيقة .. ومهذبة إلى حد يمكن معه القول انها لم تكن ترتاب في شيء . ولكن .. ألا يقال أن الوجه يبتسم احياناً بينما القلب ينزف دماً ؟ لقد لاحظتها وهي تزداد شحوباً يوماً بعد يوم ، إنها لم تعد نفس السيدة التي اعرفها ، لقد تغيرت كثيراً في هذا الشهر الأخير ..

وكذلك كان السيد قد تغير كثيراً في خلال هذا الشهر ، لا شك

أنه كانت له متاعب ، كان يبدو أحياناً أنه على وشك الانهيار العصبي ، ولا عجب في هذا بعد أن ارتبط بعلاقة علنية مع تلك السيدة ، بلا حياء .. وبلا تحفظ ؟

– قلت ان المسيو رينولد كان عليه أن يغلق الباب بعد انصراف مدام دوبريل ، فهل رأيتها وهي تنصرف ؟

– لا .. لم أرها .. بل سمعتها يخرجان من غرفة المكتب ، وحياها المسيو رينولد تحية المساء وأغلق الباب .

– متى حدث هذا ؟

– حوالي العاشرة وخمس دقائق يا سيدي ..

– هل عرفت متى ذهب المسيو رينولد إلى غرفة نومه ؟

– سمعته يصعد بعد انصراف السيدة بعشر دقائق ، إن الدرجات ترسل صريراً مسموعاً كلما صعد عليها أحد في سكون الليل .

– ألم تسمعوا شيئاً بعد ذلك ؟

– لا ..

– مَن مِن الخدم هبط أولاً في الصباح ؟

– أنا يا سيدي ، وقد رأيت باب الفيللا مفتوحاً .

– وماذا عن نوافذ الطابق الأرضي .. هل كانت كلها محكمة الاغلاق ؟

– نعم .. كلها .. ولم يكن بها ما يثير الريبة ؟

– حسناً يا فرانسواز .. يمكنك الانصراف ..

ولما وصلت الخادم العجوز إلى عتبة الباب ..

استدارت قائلة :

– يمكنني أن أقول لكم يا سادة أن مدام دوبريل امرأه شريره .. امرأه فاسده ، هذا ما أقرره على مسئوليتي ..

واستدعى المحقق الخادمة الشابة ليونيه أولارد ، فلما حضرت باكية مضطربة ، سألها المحقق .

وعرف منها أنها هي التي اكتشفت وجود سيدتها مكممة الفم مقيده اليدين بجوار السرير في غرفة نومها ، وانها لم تسمع او تعرف شيئاً غير هذا .

وتبعتها أختها دينيس في الشهاده ، فأيدت اقوالها ، واعترفت بأن سيدها المستر رينولد كان قد تغير كثيراً في خلال الشهر الأخير .

– كان يزداد يوماً بعد يوم حزناً واكتئاباً وقلقاً ، ولا شك أن جمعية المافيا السرية كانت السبب في هذا . ولا شك أن اثنين من أعضائها المقنعين كانا يطاردانه ليقتلاه !

وأومأ المحقق برأسه قائلا :

– ربما .. والآن هل أنت التي استقبلت مدام دوبريل عندما جاءت لزياره المسيو رينولد مساء أمس ؟

– لا .. لم استقبلها مساء أمس .. وإنما مساء أول أمس .

– ولكن فرانسواز قالت إن مدام دوبريل جاءت أمس مساء لزياره المسيو رينولد ؟

– لا يا سيدي .. لقد جاءت فعلا سيده لزياره المسيو رينولد أمس مساء ، ولكنها لم تكن مدام دوبريل ؟

ودهش المحقق ، وأعاد السؤال على الفتاه ، ولكنها تمسكت بالاجابة وقالت :

– ان الزائره كانت سوداء الشعر واصغر سناً وأقصر قامة من مدام دوبريل ..

وسألها المحقق :

– هل سبق لك رؤية هذه السيده ؟

– لا يا سيدي .. اطلاقاً ، ولكنني أظن انها انجليزية .

– انجليزية ؟

– نعم يا سيدي .. لقد سألتني عن المسيو رينولد بالفرنسية ، ولكن لهجتها كانت انجليزية النطق ، ولما خرجت من غرفة المكتبة مع السيد ، كانا يتحدثان بالانجليزية .

– هل سمعت ما كانا يقولان ؟ وهل كان في مقدورك أن تفهمي حديثهما ؟

– أنا ؟ انني أتحدث الانجليزية جيداً جداً ، ولكن السيده كانت تتحدث بسرعة فلم أفهم حديثها اما السيد فقد سمعت عبارته الأخيره وهو يودعها عند الباب ؟

وتوقفت دينيس برهة .

ثم قالت :

– سمعته يقول لها : « نعم . نعم .. ولكن أرجوك بحق الله أن تنصرفي الآن » .

وصرف المحقق دينيس ، وبعد لحظات من التفكير ، اعاد استدعاء فرانسواز وسألها عما إذا كانت واثقة بأن الزائرة هي مدام دوبريل ، فأكدت انها هي ، واتهمت زميلتها دينيس بالغرور والغباء وحب التظاهر باتقان اللغة الانجليزية .

ثم اكدت ايضاً ان المسيو رينولد لم يكن يتحدث الانجليزية مع أحد اطلاقاً ، إلا مع ابنه جاك الذي لم يكن يحسن الحديث بالفرنسية .

وصرفها المحقق في النهاية .

ثم طلب استدعاء السائق .

ولكنه لم يلبث أن علم ان المستر رينولد منحه في اليوم السابق إجازة لبضعة أيام لأنه لم يكن في حاجة اليه .

وهنا بدت على وجه بوارو إمارات القلق والدهشة ، ثم سأل فرانسواز بعد أن طلب استدعاءها مرة ثالثة :

– هل كان المسيو رينولد يقود سيارته في غياب السائق ؟

– لا يا سيدي ..

– هل أنت واثقة من هذا ؟

– نعم .. كل الثقة ..

ولما انصرف ، قلت لبوارو :

– ماذا يثير القلق في نفسك .

– ألم يذكر المسيو رينولد في خطابه اليّ أنه سيرسل اليّ سيارة لانتظاري في ميناء كاليه ؟

– ربما يعني سيارة مأجورة ؟

– وما دام كان يريد مني الحضور اليوم ، فلماذا يمنح سائقه اجازة أمس ؟ ولماذا لم يستبقه حتى اليوم ليرسله بالسيارة لاستقبالنا بدلاً من ارسال سيارة مأجورة ؟

وبعد لحظة تفكير ..

أردف بوارو قائلاً :

– ترى هل أرسله في إجازة قبل وصولنا لغرض خاص في نفسه ؟

- ٤ -

وغادرت فرانسواز الغرفة ..

وبعد برهة سأل المحقق المسيو بكس :

- مسيو بكس .. إن لدينا الآن شهادتين متناقضتين .. فأيها نصدق ؟.

وقال بكس بلهجة تأكيد :

- شهادة دينيس بلا شك ، إنها هي التي استقبلت الزائرة ، ومن المؤكد أن فرانسواز تغار من دينيس وتحاول تكذيبها ، كما ان لدي معلومات تؤكد وجود علاقة للمسيو رينوله بامرأة اخرى .

وهتف المحقق قائلاً وهو يتناول رسالة من بين الأوراق الموضوعة أمامه :

- آه .. لقد نسينا أن نخبر المسيو بوارو بهذا .

ثم سلم الرسالة إلى بوارو قائلاً :

- لقد وجدنا هذه الرسالة في جيب معطف المسيو رينولد .

وبسط بوارو الرسالة التي كانت مكمشة وبالية ، ومكتوبة بالانجليزية :

« يا حبيبي ..

« لماذا انقطعت عن الكتابة إليّ منذ مدة طويلة ، إنك لا تزال تحبني .. اليس كذلك ؟ لقد كان خطابك الأخير بارداً وعجيباً ، اني اخشى أن يكون حبك لي قد انتهى .. ماذا يمكنني ان أفعل إذا كنت قد

توقفت عن حبي ، انني قد اقتل نفسي ، لأني لا أستطيع الحياة بدونك ، احياناً اتخيل ان هناك امرأة اخرى في حياتك .. ولكن .. كن على حذر .. انني لن أتردد في قتلها حتى لا تحرمني منك ، ولكن .. ما هذا الكلام الفارغ .. انك تحبني ولا شك ، وانا احبك ، أحبك . أحبك ..

« حبيبتك بيللا »

ولم يكن بالرسالة عنوان الكاتبة .

وأعادها بوارو إلى المحقق الذي قال :

— الواضح ان المسيو رينولد كان على علاقة بامرأة ، هي بيللا .. ثم جاء للاقامة هنا ، وتعرف بمدام دوبريل ، وبدأ معها علاقة جديدة جعلت حبه للأخرى يهدأ ، وارتابت هذه الأخرى — أعني بيللا — في الأمر ، فأرسلت هذا الخطاب الذي يحمل في ثناياه تهديداً واضحاً .. إن غيرة المرأة لا رادع لها ، كما ان اصابة المسيو رينولد في ظهره تدل على أن القاتل امرأة !

فأومأ بوارو برأسه وقال :

— نعم . الطعنة في الظهر تدل على أن الجاني امرأة ، ولكن الحفره الكبيره ؟ إن أية امرأه لا تستطيع بمفردها ان تحفر حفره عميقة كهذه ، إنها من عمل رجل .

فهتف المسيو بكس قائلا :

— نعم .. نعم .. هذا صحيح ، لقد فاتتنا هذه الملاحظة ؟

وعاد المحقق يقول :

— لقد بدا الأمر في اوله بسيطاً ، ولكنه لم يلبث ان تعقد حين سمعنا بأمر الرجلين المقنعين ، وبالرسالة التي وصلتك يا مسيو بوارو ، وبهذه المناسبة ، هل تعتقد ان المسيو رينولد أرسل يستدعيك لحمايته من بيللا ؟

فهز بوارو رأسه وقال :

– لا أعتقد ان رجلا مثل رينولد يطلب من احـــد ان يحميه من امرأه ايا كانت هذه المرأه ، ثم لا تنسى انه كان مغامراً في بلاد نائية فكيف يطلب الحماية من امرأه ؟

فأومأ المحقق برأسه ..

بينما قال بكس :

– لسوف ارسل برقية إلى مدير الشرطة في سنتياجو مطالباً بأن يرسلوا الينا تقريراً كاملا عن حياه المجنى عليه في سنتياجو ، وعن أعماله وطبيعتها ، وعن علاقاته النسائية ، وعن اعدائه ان كان له أعداء ، ولا شك أن هذا كله سيكشف كثيراً عن أسرار هذه الجريمة .

وقال بوارو :

– أحسنت يا مسيو بكس ، هذا ما يجب أن تفعله ؟

ثم استدار إلى المحقق وسأله :

– هل وجدتم رسالة أخرى للمدعوه بيلـــلا ، بين اوراق المسيو رينولد ؟

– لا .. لم نجد أية رسالة أخرى رغم ما بذلناه من بحث طويل ، بل لم نجد شيئاً له قيمة ، وكل ما وجدناه وصية جديده ..

وتناول ورقة كبيره من السجل الموضوع أمامه وقال :

– ترك الف جنيه لسكرتيره الخاص المستر ستونر ، وبهذه المناسبة يقيم المستر ستونر في انجلترا منذ ثلاثة اسابيع تقريباً ، اما باقي الثروه فقـــد تركها كلها لزوجته المحبوبة ، والوصية قـانونية موقع عليهـا من اثنين من الخدم كشهود ؟

وسأل بوارو :

– ومتى كتبت هذه الوصية الجديده ؟

– منذ أسبوعين ، أي منذ الوقت الذي بدأ يشعر فيه بالخطر الذي يتهدده . ولكن من الخطأ أن نسرع في الاستنتاج من الواضح أن هذه الوصية تدل على مبلغ حبه وتقديره لزوجته رغم كل نزواته وعلاقاته النسائية ..

وقال المحقق :

– نعم . ولكن هذه الوصية تظلم الابن جاك لأنها ستتركه معتمداً تماماً على والدته . فإذا حدث وتزوجت مرة أخرى ، فقد يسيطر زوجها الجديد عليها ويظفر بالثروة كلها .

وهز بوارو كتفيه وقال :

– إن الرجل حيوان مغرور ، ولعل المسيو رينولد لم يفكر يوماً في أن زوجته قد تتزوج بعده .

– ربما يكون الأمر كما تقول .. واعتقد الآن يا مسيو بوارو انك تريد مشاهدة المكان الذي وقعت فيه الجريمة . انني آسف لأن الجثة رفعت من ذلك المكان ، ولكن الصور الفوتوغرافية ستبين على وجه التحديد مكانها من المنطقة .

ونهضنا جميعاً ، ولما غادرنا الغرفة أشار بوارو إلى باب غرفة مقابلة وقال :

– اعتقد أن هذه هي غرفة المكتب .

فقال المحقق وهو يفتح بابها :

– نعم . أتحب أن تلقي نظرة عليها ..

وكانت غرفة المكتب صغيرة أنيقة ، ليس فيها غير خزانة كتب وبضعة مقاعد وثيرة ومنضدة مستديرة للكتابة ، عليها أحدث ما أصدرته المطابع من الكتب الانجليزية .

والقى بوارو نظرات فاحصة على الغرفة ..

ثم مسح بيده على سطح المنضدة .
وتمتم باعجاب :
- لا أثر لذرة غبار ..
- إن الغرفة نظفت جيداً ؟
ولمح بوارو ثنية في طرف السجادة ، ولما كان لا يطيق أن يرى شيئاً في غير موضعه ، فقد انحنى ليبسط الطرف المنثني ، وهنـا عثرت يده على ورقة صغيرة تحتها ..
فتناولها وهو يقول :
- إن الخدم في فرنسا ، كما هم في انجلترا .. يتكاسلون عادة من الكنس تحت السجاجيد ..
ونظرنا جميعاً إلى قصاصة الورق ، وكان المحقق أسرع مني في التعرف عليها إذ قال :
- إنها قطعة ورق من شيك ممزق ؟
وكان على الورقة هذا الاسم « دوفين » مكتوباً بخط سريع .
وقال بكس :
- هذه الورقة جزء من شيك يصرف لأمر شخص اسمه دوفين .
وقال بوارو :
- اعتقد أنه شيك كتبه المسيو رينولد ، لأن الخط خطه .
ولما قورن الخط بمفكرة كانت على المنضده ، ثبتت هذه الحقيقة .
وقال بكس :
- كيف غفلت عن هذه الورقة أثناء بحثي عن الأدلة في هذه الغرفة !
وضحك بوارو قائلا :
- لا تنس ابداً هذا المبدأ « ابحث تحت السجـــاجيد » ! هذا هو مبدئي ، ولما رأيت الثنية في طرف السجاده ، خطر لي اني قد أجد تحتها

شيئاً .. ولا شك أن فرانسواز ، أو إحدى الأختين غفلت عن تنظيف ما تحت السجاده . والواضح أن المسيو رينولد كان قد كتب هذا الشيك أمس مساء ، ثم مزقه لسبب ما .

وكان بكس في خلال هذا قد أمر باستدعاء فرانسواز ..

فلما حضرت سألها :

– هل رأيت بقايا الشيك الذي سقطت منها هذه الورقة .

– نعم يا سيدي ، كانت أوراق الشيك الممزقة ملقاه على السجاده فجمعتها والقيت بها في المدفأه ، ولا شك اني غفلت عن هذه الورقة ..

وصرفها بكس في يأس ؟

وبحث عن دفتر الشيكات .

فلما وجده ، حاول ان يعرف – من كعب الشيك الأخير – الاسم الكامل لمن كتب الشيك له ، ولكنه وجد الكعب خالياً من أية إشاره إلى هذا ؟

وقال بوارو يشجعه :

– لا تيأس يا صديقي .. لا شك أن مدام رينولد ستخبرنا من يكون هذا الشخص المجهول ، سواء كان رجلاً أم امرأه .

– نعم .. نعم .. هذا صحيح ، هلم نمضي !

وفي أثناء الانصراف قال بوارو :

– لا شك أن المسيو رينولد ، قد استقبل في هذه الغرفة زائره الأمس ..

– نعم .. وكيف عرفت ؟

فأمسك بوارو بين أصابعه بشعره سوداء طويلة وقال :

– لقد وجدت هذه الشعره على مسند أحد المقاعد وهي شعره نسائية ..

وتقدمنا المسيو بكس إلى الجهة الخلفية من الفيللا حيث رأينا كوخاً صغيراً قائماً على جانب الجدار الخلفي ..

واخرج بكس من جيبه مفتاحاً وفتح باب الكوخ وهو يقول :

– لقد نقلنـــا الجثة إلى هذا الكوخ بعد أن فرغ المصورون من عملهم .

ورأينا جثة القتيل على الأرض ، مغطاه بملاءه بيضاء ..

ورفع بكس طرف الملاءه عن الوجه .

وكان القتيل رجلا في العقد السادس من عمره ، أشيب الشعر ، متوسط الطول ، حليق الوجه ، ملوح البشره ، كرجل عـــاش معظم حياته في المناطق الاستوائية .

وكانت مـــلامح وجهه ، في الموت ، تنم بوضوح عن الدهشة والفزع في وقت واحد .

وحرك بوارو الجثة على جنبها وهو يقول بعد ان شاهد بقعـة الدم الجافة تلوث المعطف الرمادي الفاتح :

– الواضح انه طعن من الخلف ، هذا لا شك فيه ، هـل عرفتم نوع السلاح الذي ارتكبت به الجريمة !

– لقد وجدناه في الجرح ، وهو فتاحة خطـابات على شكل خنجر صغير له مقبض اسود لامع ، ونصل صغير حاد .. انه موضوع في هـذا الاناء الزجاجي ؟

وأشار المحقق إلى اناء زجاجي في ركن الكوخ ، وتناول بوارو الخنجر بمنديل وتحسس نصله قائلا :

– إنه حاد جداً ..

– ولكننا للأسف لم نجد عليه أية آثار للبصمات ، وهذا يدل طبعاً على أن القاتل كان يرتدي القفاز .

فقال بوارو باحتقار :

– إن المجرم المبتدىء أصبح يعرف هذه الحقيقة ، والاسوأ من هـذا أصبح يعرف أيضاً كيف يترك وراءه بصمات أصابع مزيفة امعـاناً في تضليل الشرطة .

ثم أردف قائلا في تعجب .

– إن المجنى عليه يرتدي تحت المعطف ملابس منزلية ؟

– نعم .. وقد تعجبنا لهذا أيضاً .

وفي تلك اللحظة سمعنا طرقاً على الباب ..

واقبلت فرانسواز تقول :

– إن سيدتي قد تنبهت وهي على استعداد لاستقبال السيد المحقق !

وفيما نحن ننصرف إلى الفيللا ، قال بوارو وهو يتأمل الجثة بعد أن أعاد بكس الغطاء على الوجه :

– إن معطفه هذا يبدو أطول من مقاسه العادي !

- ٥ -

وفيما نحن نصعد الدرج إلى غرفة مسز رينولد ، قال بوارو بعد أن جس بقدميه جوانب الدرج كله :

– إنه يصر صريراً يوقظ الموتى ؟

وعلى رأس الدرج رأينا ممراً يتفرع عنه .

وقال بكس :

– هذا الممر الصغير يؤدي إلى جناح الخدم .

وفي الممر المقابل سرنا حتى وقفنا امام باب طرقت فرانسواز عليه وسمعنا صوتاً خافتاً يأذن لنا بالدخول .

وكانت الغرفة واسعة تطل على البحر الذي كان يبعد عنها نحو نصف كيلومتر .

وعلى متكأ وثير ، مزود بالوسائد ، رأينا مسز رينولد راقدة في نصف جلسة ، وكانت سيدة تلفت النظر بقوة شخصيتها رغم شحوب وجهها وهزال جسمها .

وكانت في منتصف العمر ، يخط الشيب شعرها الأسود الغزير ، ولكن الحيوية المتدفقة منها كانت تؤكد شخصيتها وتفرض عليك احترامها .

وحيتنا بإيماءة من رأسها وقالت :

– أرجوكم أن تتكرموا بالجلوس ؟

وقال المحقق هوتيت ، بعد أن جلس كاتب التحقيق بجواره إلى نضد صغير :

– أرجو يا مدام رينولد ألا يزعجك أن تقصي علينا ما حدث ؟

– لا لا يا سيدي ، إنني أعرف قيمة الوقت إذا كان عليكم أن تقبضوا على هؤلاء المجرمين !

– حسناً يا سيدتي . سوف أسألك وأرجو ان تجيبي بقدر ما تستطيعين من دقة ، كم كانت الساعة حين أويت إلى فراشك ؟

– كانت التاسعة والنصف مساء ، وكنت متعبة بعض الشيء ..

– ومتى تبعك زوجك ؟

– بعد نصف ساعة تقريباً .

– هل كان يبدو عليه القلق أو الضيق ؟

– لا .. كان كالمعتاد ..

– وماذا حدث بعد ذلك ؟

– نمت .. ثم استيقظت على يد تضغط على فمي ، وحاولت عبثاً أن أصرخ ، وكان بالغرفة رجلان مقنعان ، أحدهما كان يحاول منعي من الصياح !

– هل يمكنك أن تصفيهما لنا بقدر الامكان ؟

– كان أحدهما طويلاً أسود اللحية ، والآخر قصيراً ، ممتلىء الجسم تميل لحيته إلى الاحمرار ، وكانا يغطيان عيونهما بحافتي قبعتيهما .

– حسناً يا مدام .. وبعد !

– كان القصير هو الذي يمنعني من الصيـــاح ، ثم كممني وربط يدي وقدمي بقوة ، بينما كان الآخر يهدد زوجي بالخنجر الصغير الذي كنت استعمله كفتاحة خطابات ، والذي كان موضوعــاً على المنضدة بالغرفــة ، وبعد أن فرغ القصير من امري ، ارغما زوجي عــلى الخروج معهما ، ورغم

حالة الاغماء التي كانت تعتريني عندئذ ، فقد حاولت الانصات اليهما بكل قواي ، وقد استطعت أن افهم مقاطع من لغتهما ، وكانت لغة اسبانية منتشرة في أمريكا الجنوبية ، وكانا يطالبان زوجي بشيء ما .

وقد سمعتهما يقولان له : « انت تعرف ما نريد .. السر .. أين هو » .

وغمغم زوجي بكلمات لم أفهمها ، وعندئذ قال له أحدهما : « انك كاذب ، نحن نعرف انه لديك .. أين المفاتيح » ، ثم سمعت اصوات ادراج تفتح في الغرفة المجاورة ، وكان بها خزانة حائط لزوجي يضع فيها مبالغ كبيرة من المال مع بعض الأوراق ، وقد علمت من ليونيه أن الخزانة بقيت مفتوحة ، والأوراق تعرضت للعبث ، والمال غير موجود ..

ولكن يبدو انهما لم يجدا ما يبحثان عنه ، لأني سمعت احدهما يسب ويلعن ويأمر زوجي بالخروج معهما قبل أن يرتدي ملابس الخروج ، واجتازا غرفة نومي أثناء خروجهم ، واستطاع زوجي ان يقول لي وهو يحاول اصطناع الهدوء « لا تخافي يا ايلواز ، لسوف ينتهي كل شيء على خير ، وسأعود في الصباح » .. ولكنني كنت ارى الفزع يطل من عينيه .

– ألم يكن للغرفة المجاورة باب آخر ؟

– لا .. إنها غرفة الملابس ، وليس لها إلا باب واحد يفضي إلى غرفة النوم هذه ، ويبدو انني وقعت في حالة اغماء ولم انتبه إلا ع' ليونيه وهي تدلك يدي وقدمي وتقدم لي بعض الشراب المنعش .

وقال المسيو هوتيت :

– ألديك أية فكرة عما كان الرجلان يريدانه من زوجك ؟

– لا . مطلقاً .

– هل كنت تشعرين بأن زوجك يعيش في خوف من شيء ما !

– نعم . لقد لاحظت التغيير الذي طرأ عليه اخيراً .

– منذ متى ؟

– منذ أسبوعين تقريباً ..

– ألم تسأليه عن السبب ؟

– سألته مرة ، ولكنه راوغني في الاجابة ، فتركته وشأنه .

– هل عرفت انه طلب من أحد رجال المباحث الخصوصيين أن يحضر لحمايتـه ؟

فقالت السيدة في دهشة :

– أحد رجال المباحث ؟ لا مطلقاً ؟

فأشار المحقق إلى بوارو ، ثم قال وهو يقدم اليها الرسالة التي أرسلها اليه المجنى عليه :

– هذا هو السيد الذي أعنيه ، وهذه هي الرسالة !

وكانت دهشتها عميقة وهي تقول بعد أن قرأت الرسالة :

– لم يكن لدي اية فكرة عن هذا الموضوع

– إذن أرجوك يا سيدتي أن تكوني صريحة معنا ، هل حدث أثنـاء إقامة زوجك في أمريكا الجنوبية مـا يمكن أن يلقي بعض الضوء على هذه الجريمة ؟

ففكرت المسز رينولد طويلاً .. ثم قالت :

– انني لا أتذكر شيئاً ، ولكن لا شك أنه كان لزوجي أعداء كثيرون ، وهذا شيء طبيعي في حياة الرجل الذي يتفوق على غيره في مضمار الثراء ؟

وقال بكس :

– هل يمكن أن تحددي الوقت الذي وقع فيه هذا الحادث ؟

– نعم .. كانت ساعة البهو تدق الثانية بعد منتصف الليل .

وفجأة قال بكس وهو ينحني ويلتقط شيئاً بجوار المنضدة :

– وهذه أيضاً ساعة يد وقعت من على المنصدة وتحطمت ، لا شك إنها ستحدد لنا وقت وقوع الحادث تماماً . .

ولما نظر فيها برفق ، هتف قائلا :

– يا إلهي !

– ماذا حدث ؟

– ان العقربين يشيران إلى الساعة السابعة .

وهتف المحقق قائلاً :

– مـاذا ؟

ولكن بوارو ابتسم وقال وهو يضع الساعة على أذنه :

– إن زجاج الساعة فقط هو الذي انكسر ، أما الساعة فلا تزال تدق .

وابتسم الجميع لهذا التفسير المعقول .

ولكن المحقق هتف :

– ولكن الساعة ليست السابعة الآن

وهنا قال بوارو بوجه ينم عن الحزم :

– لا . . إن الساعة الآن بعد الخامسة بقليل ، لعل هذه الساعة التي تحطم زجاجها تقدم كثيراً يا مدام رينولد ؟

فقالت المسز رينولد :

– لا . . إنها مضبوطة ، ولكن لعلها تقدم أحياناً ، إلا انها لا تقدم بهذه الدرجة .

وهز المحقق كتفيه وترك أمر الساعة واستأنف أسئلته للمسز رينولد فقال :

– لقد وجد باب الفيللا مفتوحاً في هذا الصباح يا مدام رينولد ، والواضح ان المجرمين دخلا منه ، إلا أننا لم نجد عليه آثار الفتح بالقوة ،

فهل يمكن أن تفسري لنا هذا يا سيدتي ؟

- ربما خرج زوجي للتريض قبل أن يصعد للنوم ، ثم نسي أن يغلقه من الداخل بالرتاج ..

- هل كان من عادته أن يفعل هذا في بعض الأوقات ؟

- نعم .. وكان زوجي ضعيف الذاكرة إلى حد كبير .

وسأل المستر هوتيت :

- ما دام الجرمان قد ارغما المسيو رينولد على الخروج معهما ، فلا بد أن « السر » الذي كانا يريدانه يقع في مكان بعيد .

فهزت المسز رينولد رأسها وقالت :

- انة ليس بعيداً جداً أو قريباً جداً .. لأن زوجي أخبرني أنه سيعود في الصباح .

وسأل بوارو قائلا :

- في أي وقت يغادر آخر قطار محطة ميرلنيفنل ؟

- يغادر آخر قطار المحطة إلى جهة في الحادية عشرة وخمسين دقيقة ، والآخر يغادرها إلى الجهة الأخرى في الثانية عشرة وسبع عشرة دقيقة ، ولكن المرجح أن يكون الجرمان قد رحلا في سيارة .

فأومأ بوارو برأسه في خيبة أمل وقال :

- نعم . هذا احتمال شبه مؤكد !

وعاد المستر هوتيت يسأل المسز رينولد :

- أتعرفين أحداً باسم « دوفين » ؟

- دوفين ؟ لا .. إنني في الوقت الحاضر لا أتذكر هذا الاسم

- ألم تسمعي زوجك ، او أي أحد آخر يذكر هذا الاسم أمامك ؟

- لا .. مطلقاً .

- هل تعرفين سيدة اسمها الأول بيللا ؟

وهزت المسز رينولد رأسها نفياً ..

فعاد يسألها :

– هل كنت تعرفين أن زوجك استقبل زائرة أمس ؟

فاحمر وجه السيدة ولكنها هزت رأسها وقالت :

– لا .. من تكون ؟

ورأى المستر هوتيت ان حالة المسز رينولد لا تحتمل المزيد من الارهاق ، فتجاهل سؤالها ، وأومأ برأسه إلى أحد مساعديه ..

فغاب هذا لحظات ، ثم عاد يحمل الاناء الزجاجي الذي رأيناه في ركن الكوخ .

وقال مستر هوتيت لمسز رينولد وهو يشير إلى فتاحة الورق :

– هل سبق أن رأيت هذا ؟

فهتفت المسز رينولد قائلة :

– عجباً ؟ انه الخنجر الصغير الذي استعمله كفتاحة للورق .

ثم أردفت قائلة في فزع وهي تشير إلى الدماء الجافة عليه :

– أهـذه دماء ؟

– نعم يا سيدتي . انه الخنجر الذي قتل به زوجـك ؟ هل أنت واثقـة أنه نفس الخنجر الذي كان عـلى النضد بجوار فراشك في الليلة الماضية ؟

– نعم .. بكل تأكيد .. لقد كان هدية من ابني جاك ، وكان طياراً في الحرب العالمية ، وقد صنع لي هذا الخنجر من حطام طائرة المـانية وأهداه لي كهدية تذكارية عن أيام الحرب .

– آه . فهمت .. وهذا يدفعنا إلى السؤال عن ابنك ، أين هو الآن ، يجب بطبيعة الحال أن نبرق اليه بما حدث .

– جاك ؟ انه في الطريق إلى بيونس أيرس .

– مـاذا ؟

– نعم .. لقد أبرق اليه والده أمس ، وكان قد أرسله في مهمـة إلى باريس ، ثم طلب منه في البرقية أن يمضي فوراً إلى أمريكا الجنوبية ، وكانت هناك باخرة في ميناء شيربورج تستعد للابحار إلى بيونس ايرس ، فطلب زوجي منه أن يستقلها .

– هل تعرفين لماذا ارسل زوجك ابنكما جاك إلى بيونس إيرس ؟

– لا .. ولكني أعرف أن بيونس ايرس لم تكن هي غاية جاك ، لأنـه كان عليه أن يمضي منها إلى سنتياجو .

وهتف المحقق المسيو هوتيت ، ومدير الشرطـة المسيو بكس في صوت واحد :

– سنتياجو ؟

وفي تلك اللحظة أقبل بوارو الذي كان واقفاً شارد الذهن أمـام النافذة ، وانحنى أمام المسز رينولد وقال لها :

– معذرة يا سيدتي .. هل يمكن أن أفحص معصمي يديك ؟

ورغم دهشة المسز رينولد ، فقد قدمت اليه معصميها ..

وبعد أن فحصها وتأكد من عنف القيد الذي ترك آثاراً غـائرة في المعصمين ، قال :

– لا شك أن هذا القيد آلمك جداً ؟

وقال المستر هوتيت :

– لا بد أن نتصل بسرعة بالمسيو جاك ، ونرجو أن نجده في مكان قريب حتى نجنبك المزيد من الألم .

فقالت المسز رينولد :

– أتعني التعرف على الجثة ؟

فهز المستر هوتيت رأسه وقال :

– نعم ..

– انني امرأة قوية الاحتمال يا سيدي ، وأستطيع أن أواجه اي موقف ، واني مستعدة الآن !

– يمكنك ان تقومي بهذه المهمة غداً صباحاً إذا شئت .

– بل أفضل ان اقوم بها الآن وافرغ منها .

ثم التفتت إلى الطبيب وقالت له :

– أرجو إذا سمحت ان تجعلني استند على ذراعك ..

وقدم الطبيب ذراعه بسرعة للسيده رينولد ، ومضينا جميعا إلى الكوخ ، وقالت المسز رينولد :

– لحظة واحده حتى أهيىء نفسي لاحتمال هذا المنظر .

وما كادت نظراتها تقع على وجه زوجهـا ، حتى صاحت بحزن يمزق القلب :

– أوه .. زوجي .. زوجي !

ثم أغمي عليها .

وأسرع الطبيب وبعض رجال الشرطة وحملوها إلى الخارج .

وقال لي بوارو في اسف :

– انني لم أرَ في حيـاتي حزنا وحبـا اقوى من هـذا .. يا لغبائي الشديد ..

- ٦ -

وقال مدير الشرطة بعد أن حملت المسز رينولد إلى غرفتها :

– مسكينة هذه السيدة ، لا شك أن الصدمة كانت أقوى من أن تتحملها ، حسناً .. إننا لن نستطيع أن نفعل شيئاً ، والآن .. هلم يا مسيو بوارو إلى مسرح الجريمة .

– انني تحت أمرك يا سيد بكس .

واجتزنا داخل الفيللا إلى الباب الأمامي .

وقال بكس :

– من العجيب ألا يسمع الخدم صوت الرجال الثلاثة وهم يهبطون السلم الذي يصر صريراً يوقظ الموتى .

– لا تنس إن ذلك كان بعد منتصف الليل ، ولا شك أنهم كانوا مستغرقين في النوم .

– ولكن لماذا حاول المجرمان أن يدخلا من باب البيت وقد كان في مقدورهما أن يدخلا من إحدى النوافذ ؟

ثم أشار بوارو إلى نافذة غرفة نوم مسز رينولد وقال :

– هذه هي نافذة غرفة النوم ، وها هي ذي شجرة يمكن تسلقها إلى النافذة .

فقال المحقق :

— محتمل جداً .. ولكن كان لا بد أن يتركا وراءهما آثار أقدام في حوض الزهور المحيط بالشجرة .

ورأيت حوضين للزهور الحمراء ، كانا على جانبي مدخل الفيللا ، وكانت الشجرة المؤدية إلى نافذة غرفة النوم تقع في الحوض الأيسر ، ولم يكن هناك مفر من ترك آثار الأقدام في الحوض إذا أراد أحد الوصول إلى الشجرة .

واستطرد المسيو بكس قائلا :

— إن أرضية المدخل جافة لا تنطبع فيها آثار الأقدام ، أما حوض الزهور فإنه رطب ، وكان من المحتم أن تنطبع فيه آثار الأقدام لو تسلق أحد هذه الشجرة .

وانحنى بوارو على الحوض يفحصه بإمعان ثم قال :

— إن هذا الحوض الذي تقع فيه الشجرة املس ، لا أثر فيه لاقدام ؟

ثم قال وهو يفحص حوض الزهور الآخر :

— ولكن هذا الحوض فيه آثار أقدام واضحة .

فقال المسيو بكس :

— من المؤكد أنها آثار حذاء البستاني الغليظ ، وهذا على كل حال لا يهم ما دام هذا الحوض خال من أية شجرة يمكن تسلقها .

— إذن فأنت ترى انه لا أهمية لهذه الآثار !

— لا .. ليست لها أية أهمية في نظري ؟

فقال بوارو في حماس :

— اني اختلف معك ، اني أعتقد أن لهذه الآثار أهمية كبرى .

وهز بكس كتفيه وقال :

— هل نمضي الان إلى مسرح الجريمة ؟

— نعم .. نعم . ولسوف أبحث أمر هذه الآثار فيما بعد .

وبدلاً من أن يمضي بنا المسيو بكس في طريق مستقيم ممتد من الفيللا ، انثنى إلى طريق أيمن تحف به الشجيرات المتكاثفة حتى وصلنا إلى فضاء من الأرض يشرف على البحر .

وكان ثمة مقعد حجري يقوم بقرب كشك صغير لأدوات الزراعة ، وعلى مسافة يسيره كان ثمة خط من الشجيرات المتكاثفة تحدد الأراضي التابعة للفيللا .

وبعد أن اجتزنا هذا الخط من الشجيرات وجدنا أنفسنا في ساحة واسعة جعلت بوارو يقول في دهشة :

– عجباً إن هذا ملعب للجولف !

فأومأ بكس برأسه وقال :

– نعم .. إنه ملعب جديد لم يكتمل بعد ، وكان المفروض أن يكتمل في خلال الشهر القادم ، وقد كان بعض العاملين فيه هم الذين اكتشفوا وجود الجثة في هذا الصباح .

وندت عني شهقة حين لمحت على يساري حفره طويلة عميقة كأنها القبر المفتوح وعلى حافتها رجل ملقى على وجهه .

وكدت أثب في الهواء فزعاً وقد خطر ببالي أن جريمة أخرى قد وقعت في نفس المكان ، ولكن مدير الشرطة هدأ من روعي حين تقدم غاضباً وهو يقول :

– ما هذا ؟ ألم أصدر تعليمات حاسمة بألا يقترب أحد من هذه البقعة .

واستدار الرجل الملقى على وجهه بجوار الحفره ، ثم نهض ينفض عن نفسه الغبار وهو يقول باسماً :

– إن لدي المستندات الرسمية التي تتيح لي هذا الحق .

وهتف مدير الشرطة قائلا :

– آه .. المفتش جيرود ، لم اكن أعرف انك وصلت ، إن السيد المحقق في انتظارك بفارغ الصبر .

وفيما هو يتحدث كنت أفحص بنظراتي هذا الوافد الجديد الذي طالما سمعت عنه وعن براعته في كشف الغموض عن الجرائم .

و كان هو نفسه المسيو جيرود مفتش المباحث بادارة الأمن العام بباريس ، وكان في نحو الخامسة والثلاثين من عمره ، كستنائي الشعر والشارب ، ثاقب النظرات ، طويل القامة ، تنم عليه سمات الخيلاء والاعجاب والشعور بالاهمية الذاتية ..

وقدمنا المسيو بكس اليه قائلا :

– إن المسيو بوارو أحد الزملاء في ميدان المباحث الجنائية .

وبدا الاهتمام على وجه جيرود وهو يقول :

- اني أسمع عنك يا مسيو بوارو ، لقــد شيدت شهرتك على الأساليب القديمة في البحث الجنائي ، أما الان .. فإن هذه الأساليب قد تطورت .

وقال بوارو ببساطة :

– ولكن الجريمة هي الجريمة في كل مكان وزمان .

وبدا لي بوضوح أن جيرود سوف يتخذ منا موقفاً عدائيــاً ، ولعله كان يكره أن يتدخل أحد في شئونه ، ومن ثم أيقنت أنه لن يخــبر بوارو بــأية أدلة تقع بين يديه

وعاد المسيو بكس يقول :

– إن السيد هوتيت ..

وقاطعه المفتش جيرود قائلا :

-- لينتظر السيد المحقق .. اني الان في أشد الحاجة إلى الضوء البــاقي من النهار .. وهو لن يستمر أكثر من ساعة ، ومن الممكن أن نسأل المقيمين في الفيللا غداً . ولكن ليس من الممكن تأجيل البحث عن الأدلة التي قــد

اتضيبع لو انتظرنا إلى الغد ، أرى أن رجالك من الشرطة قد ملأوا هـذا لمكان بآثار أقدامهم ، وكنت اظن أنهم يعرفوا ماذا ينبغي أن يفعلوا في موقف كهذا

فقال المسيو بكس بامتعاض :

– إن هذه آثار أقدام العمال الذين عثروا على الجثة هنا ؟

فقال جيرود في ضيق :

– اني أستطيع رؤية آثار أقدام المجرمين والمجني عليه عندما خرجوا من دغل الشجيرات الذي يحدد أراضي الفيللا ، ولكن المجرمين كانا مـاكرين فإنهما تركا آثار قدمي المسيو رينولد واضحة ، بينما آثار أقـدامهما على الجانبين .

وابتسم بوارو وفتح فمه ليتحدث ، ولكنه هز كتفيه ، بينما تناول جيرود جاروفاً كان ملقى بجوار الحفره وقال :

– الواضح أن هذه هي الاداه التي استعملت في الحفر ، إن المجرمين على جانب كبير من المكر ، إنهما لم يتركا شيئاً للقدر .. لقد قتلا رينولد بخنجر من بيته ، وحفرا قبره بجاروف يملكه أو يملكه بستانيه ، ولكنني سأعرف كيف أنتصر عليهما ، لا بد أنهما تركا شيئاً وراءهما ، مهما صغر حجمه .

وكان بوارو في تلك اللحظة مشغولاً بفحص قطعة على شكل مـاسوره الرصاص كانت بجوار الجاروف .

وقال لجيرود بلهجة لا تخلو من سخريته :

– هذه أيضاً من ممتلكات المجني عليه !

وهز جيرود كتفيه وقال :

– هذا لا يهم . ومن يدري ، لعلها كانت ملقاه هنا منذ أشهر ، إنها غير ذات أهمية .

وقال بوارو :

— اني على العكس أرى أن لها أهمية بالغة .

وخيل إليّ أن بوارو أراد فقط أن يثير حنق جيرود .

وقد نجح في هذا لأن الشاب استدار بظهره قائلا :

— إن وقتي أثمن من النظر في هذه التفاهات ؟

ثم عاد وانبطح على وجهه واستأنف فحص الأرض بدقة وحذر ، كأنه كلب صيد يتشمم آثار الفريسة .

وفي خلال هذا بدا بوارو كأنما خطرت بباله فكرة طارئة ، فاجتاز الحاجز الشجري إلى حدود أراضي الفيلا ، وحاول فتح الكشك الخاص بأدوات الزراعة .

وهنا سمع جيرود يقول له :

— انه مغلق بالمفتاح ، وهو مجرد كشك يحتفظ فيه البستاني بأدواته وبعض النفايات من الملابس ، وقد تأكدت أن الجاروف لم يأت من هنا ، وإنما من الكوخ الواقع وراء الفيلا .

وهتف مدير الشرطة المسيو بكس قائلا لي :

— عجبا ! إن المفتش جيرود لم يقض هنا غير نصف ساعة ، ومع ذلك يبدو كأنه يعرف كل شيء ، إنه رجل بارع حقا .. بل لعله أبرع رجال المباحث في العالم !

ورغم احساسي بالنفور من جيرود ، إلا انني لم أملك نفسي من الشعور بالاعجاب به .

والواقع أن الذكاء والمقدرة كانا يشعان من عينيه الثاقبتين

وكان بوارو — لأسفي — لم يظهر حتى ذلك الحين بمظهر الرجل القدير ، بل كان يشغل نفسه بأشياء تافهة لا علاقة لها بالجريمة ، وقد فوجئت به يقول للمسيو بكس :

— هل كان المسيو رينولد من هواة لعبة الجولف ؟

فأجبت أنا قائلا :

– المعروف عن ذلك المليونير انه من أكبر هواة هذه اللعبة .

وقال المسيو بكس :

– إن شغفه بهذه اللعبة كان السبب في إقامة هذا الملعب الذي ساهم في نفقاته بمبالغ كبيرة .. بل وساهم في تصميمه أيضاً

وقال بوارو بلهجة تنم عن الأسف :

– ان اختيار هـذا المكان لدفن الجثة لم يكن موفقاً ، لأن الخطوط البيضاء المرسومة حول الحفرة تدل على أن العمل كان سيجري هنـا لحفر بعض الأجزاء الضرورية للملعب ، وهـذا كان سيؤدي بدوره إلى كشف الجثـة ..

وهتف جيرود قائلا :

– تماماً .. وهذا يثبت أن المجرمين غريبان عن هذه المنطقة ، وأعتقد أن هذا من الأدلة الساطعة .

وقال بوارو في حذر :

– نعم .. ان أي شخص يعرف ما سوف يجري في إتمام هذا الملعب ، لا يفكر في اخفاء جثة بأرضه ..

ثم صمت برهة قبل أن يردف قائلا :

– إلا إذا كان يريد عامداً أن تظهر الجثة بعد مدة وجيزة .

ولم يجب جيرود .

واستطرد بوارو يقول كأنما يتحدث إلى نفسه :

– نعم .. إن الأمر يدعو إلى العجب ، ومزيد من التفكير ..

- ٧ -

وفيما نحن في الطريق إلى الفيللا ، استأذن بكس للإسراع واعلان وصول المفتش جيرود للمحقق هوتيت .

وتركنا جيرود مشغولاً بفحص كل شبر في المكان ، وقد قال بوارو لي بعد أن أصبحنا بمفردنا :

- هذا هو رجل المباحث الذي يثير اعجابك يا هاستنج ، إنه كلب الصيد الادمي كما تقولون في انجلترا ؟

فقلت له وقد نفذ صبري :

- انه على الأقل يعمل شيئاً ، وإذا كان هناك ما يمكن أن يوجد فسوف يجده حتماً .

- حسناً .. لقد وجدت أنا أيضاً شيئاً ، ماسورة من الرصاص .

- أنا أعتقد يا بوارو ان هـذه الماسورة لا علاقة لها اطلاقاً بالجريمة .

- سوف ترى ، والان .. ما رأيك في الساعة التي تقدم ساعتين ؟ انني غير مقتنع بهذا ، وغير مقتنع بأشياء أخرى ، كوقوع الجريمة بسبب الانتقام، فلو كان الانتقام هو السبب ، فلماذا لم يقتلوه في غرفة نومه ؟

- لقد أراد القاتلان الحصول على « السر » .

فهز بوارو كتفيه وقال :

- وأين هو هذا السر ؟ في ملعب الجولف ؟ أهذا معقول ؟ ثم هل كانا

يعلمان أنهما سيجدان خنجراً لارتكاب الجريمة جاهزاً للاستعمال ؟

ثم أردف بعد برهة صمت :

— ولماذا لم يسمع الخدم صوت هبوطهم فوق السلم ، هل كانوا مخدرين ؟ وهل كان هناك شريك للمجرمين داخل الفيللا فتح لهم الباب ؟

ولما وصلنا إلى مدخل الفيللا ، رأينا البستاني العجوز يقوم بتقليم بعض الأشجار؟

وسأله بوارو عن آثار الأقدام في حوض الزهور الأيمن ، واعترف البستاني انها آثار حذائه !

وهنا قلت لبوارو :

— أعتقد انك استرحت من هذه الناحية يا بوارو !

فهز بوارو رأسه وقال :

— لا .. انني ما زلت أرى أن لهذه الآثار دلالة كبرى في الجريمة ، واعتقد أن جيرود سوف يغفل عن دلالتها .

وهنا فتح الباب الخارجي وأقبل منه المحقق المسيو هوتيت ومدير الشرطة المسيو بكس الذي قال :

— آه .. لقد جئت في الوقت المناسب يا مسيو بوارو ، إننا ذاهبان الان إلى مدام دوبريل لسؤالها ، ولا شك أنها ستجزع جداً عندما تسمع نبأ مقتل المسيو رينولد .. ولعلنا نعرف منها ذلك « السر » ، فإن الانسان أحياناً يفضي لحبيبته بأسرار لا يفضي بها لزوجته .

وفيما نحن في الطريق إلى فيللا مدام دوبريل ، قال لي المسيو بكس :

— لقد تأكدنا من صدق شهادة الخادم فرانسواز بشأن الثراء المفاجيء الذي ظهر على مدام دوبريل أودعت في رصيدها بالبنك مائتي الف فرنك في الشهرين الأخيرين ..

فقلت مدهوشاً :

– يا للسماء؟ ان هذا المبلغ يساوي أربعة آلاف جنيه استرليني ؟

تماماً . وهـذا يدل على مدى حب الجنى عليه المسيو رينولد لهذه المرأة الحسناء ، ونرجو أن يكون قد أفضى اليها « بالسر » .

وتوقفنا أمام الفيللا التي رأيت على بابها – عند أول حضورنا – تلك الفتاة التي وصفتها بأنها آلهة جمال .

وكان اسم الفيللا « فيللا مرجريت »

وقال لي المحقق وهو يضغط على جرس الباب الخارجي :

– إن مدام دوبريل تقيم هنا منذ سنوات طوال ، وحياتها هادئة ، ويبدو أنها بلا أصدقاء ، أو صديقات ، أو قريبات ، ولم يحدث قط أن تحدثت عن ماضيها أو حياتها الزوجية السابقة ، بل لا يعرف أحد ما إذا كان زوجها السابق ميتاً أم على قيد الحياة ، لا شك أن في مـاضيهـا شيئاً غامضاً .

– وابنتها ؟!

– آه .. هذه الفتاة الرائعة الجمـال ! إنها هادئة وادعـة .. ولكن ، لا شك أن الرجل الذي يتقدم للزواج منها ، لا بد أن يسأل عن ماضي أمها ..

فسأل بوارو :

– ولكن ما ذنبها هي ؟

فأجابه المستر هوتيت ·

– هل تقبل أنت مثلاً أن تتزوجهـا قبل أن تعرف كل شيء عن والديهـا ؟

وفي تلك اللحظة رأينـا الفتاة الجميلة ، آلهة الجمال ، تقبل لتفتح لنا الباب .

وما أن وقع نظرها علينا حتى انحسرت الدماء عن وجهها ، وبـدا

الخوف الشديد في عينيها .

ولكن هوتيت – المحقق – رفع قبعته محيياً وقال :

– يؤسفنا أن نزعجكم يا مدموازيل دوبريل ، ولكنها ضروريات العدالة تحتم علينا أن نرى والدتك لمدة لحظات قليلة .

وظلت الفتاة متسمرة في مكانها برهة طويلة .

وأخيراً تمالكت نفسها وتمتمت قائلة :

– تفضلوا بالدخول حتى أعلن والدتي بقدومكم .

وبعد لحظة أقبلت السيدة الغامضة مدام دوبريل ، وكانت سيدة في نحو الأربعين من العمر ، طويلة كابنتها ، وتكاد تصل إلى مستوى جمالها مع مزيد من الأنوثة والنضوج .

وقالت بصوت كالموسيقى :

– هل تريدون مقابلتي أيها السادة ؟

وغص المحقق بريقه ..

ثم قال :

– نعم يا سيدتي . إننا نحقق في مقتل المسيو رينولد .. لا شك انك سمعت بالحادث !

وأومأت برأسها في حزن دون أن تجيب !

وعاد المحقق يقول :

– لقد جئنا لنسألك هل لديك معلومات يمكن أن تلقي بعض الضوء على غموض الحادث ؟

وتمتمت المرأة بدهشة حقيقية :

– أنا ؟!

فقال المستر هوتيت :

– إن لدينا معلومات تقول انك اعتدت زيارة المجني عليه في

أمسيات كثيرة بفيلته ، فهل هـذا صحيح ؟

وشحب وجه المرأة ..

ولكنها قالت بحدة :

– ليس من حقك أن توجه الي أسئلة كهذه ؟

– ولكنني يا سيدتي أحقق في الحادث !

– وما شأني بالحادث ؟

– اننا نعرف أن علاقتك بالمجني عليه كانت قوية ، فهل أخبرك بشيء ما .. بسر معين ؟

– لا ..

– هل تحدث اليك بشيء عن حياته في سنتياجو ، أو عن أي أعـداء له هناك ؟

– لا ؟

– إذن فأنت لن تستطيعي أن تساعدينا بشيء !

– ولماذا انا ؟ ألم تخبركم زوجته بكل شيء .

– نعم ، أخبرتنا بكل ما تعرف .

وهزت المرأة كتفيها الجميلتين !

ولم يسعنا إلا أن ننصرف ..

وفي أثناء الطريق سأل المستر هوتيت :

– ألا يوجد فندق قريب أبيت فيه ليلتي ..

فقال المسيو بكس :

– على مسافة نصف ميل من هذا الطريق يوجد فندق دي بان ، وهو مناسب وقريب من موضع التحقيق ، اسوف نراك غداً صباحاً طبعاً ؟

– نعم ، طابت ليلتكم !

وافترقنا ، ومضيت مع بوارو في الطريق إلى ميرلينفيل ، وقبل أن

نبتعد كثيراً عن فيللا مرجريت ، إذا نحن نري الصبية الحسناء جداً ، مارثا دوبريل تسرع نحونا لاهثة .

ثم تقول باضطراب لبوارو :

– أرجو ألا تخبر أمي بأني تحدثت اليكما .. هل حقاً كان المسيو رينولد قد أرسل اليك يا سيدي لتأتي وتعمل على حراسته ؟

– نعم يا فتاتي ، هذا ما حدث حقاً ، ولكن كيف عرفت ؟

– لقد أخبرت فرانسواز خادمتنا أميلا بهذا ؟

فقال بوارو مدهوشاً :

– عجباً ؟ وكيف عرفت فرانسواز ، حسناً .. مـاذا تريدين أن تقولي لنا يا فتاتي ؟

فترددت الصبية برهة .

ثم تمتمت قائلة بصوت كالهمس :

– هل تشتبهون في أحد ؟

فحملق بوارو في وجهها قليلاً ثم قال :

– إن الاتهام يدور حول الجميع الان !

– ولكن هل هناك شخص معين ؟

وازداد الخوف في عيني الصبية ، حتى تذكرت قول بوارو وهو يصفهـا بقوله : « ذات العيون الخائفة » !

وأردفت هي قائلة :

– لقد كان المسيو رينولد شفوقاً بي دائماً ، ويهمني أن أعرف من هو قاتله ؟

– إن الاتهام مركز في الوقت الحاضر حول شخصين .

– شخصين ؟!

وكانت الدهشة واضحة في نبرات صوتها !

وقال بوارو :

– نعم .. شخصين مجهولين من سنتياجو بجمهورية شيلي ، آه .. هذا هو تأثير الجمال على النفس ، فلولا جمالك لما أفضيت لك بهذه المعلومات .

فأرسلت الفتاة ضحكة سعيدة .

ثم تمتمت وهي مستديرة لتعود إلى بيتها :

– شكراً . شكراً جزيلاً يجب أن أعود قبل أن تكتشف أمي غيابي ..

وبعد انصرافها ، تنهدت في عمق وقلت :

– يا للسماء ما أجملها !

– دعها وشأنها يا هاستنج ، هذه الفتاة ليست مناسبة لك .

فهتفت قائلاً :

– لماذا ؟ ماذا يعيبني ؟

– لا يعيبك شيء ، ولكنني أحب ألا تنخدع بالوجوه الجميلة !

– إنها ليست جميلة فقط ، ولكنها ملاك أيضاً !

فابتسم بوارو وقال :

– إن بعض المجرمين لهم وجوه بريئة كالملائكة !

وعدت أهتف قائلاً :

– هل أفهم من هذا أنك تشتبه بهذه الصبية البريئة الصغيرة ؟

– لا تسرف في الاهتياج يا صديقي ، اني لم أقل اني مشتبه بها ، ولكن هل لاحظت أن مظاهر الجزع عليها أكثر مما ينبغي ؟

– لعلها تشعر بالفزع من أجل أمها .

فهز بوارو كتفيه وقال .

– إن أمها امرأة تعرف كيف تحمي نفسها دون حاجة لان تجزع ابنتها من أجلها .

ثم صمت برهة واردف قائلا :

– إن وجه الأم ليس غريباً علي .. يخيل الي اني رأيتها من قبل ، ولكن أين ومتى ؟

ومرة أخرى راح يفكر بعمق ..

ثم يقول :

– يخيل اليّ اني رأيتها أو رأيت صورة لها منذ سنوات طوال ، عندما كنت أعمل بادارة المباحث البلجيكية ، نعم .. انني واثق بأني رأيت صورة هذه المرأة أثناء التحقيق في قضية خطيرة ..

– في جريمة !

– أعتقد ذلك ؟

- ٨ -

وعدنا إلى الفيللا في صباح اليوم التالي ..

وكانت الخادم ليونيه تهبط من الطابق الأعلى وقد بدا عليها أنها راغبة في الثرثرة .

وسألها بوارو عن صحة المسز رينولد .

فهزت الفتاة رأسها وقالت :

- إنها في حالة يرثى لها ، مسكينة هذه السيدة ، إن حزنها ليمزق القلب ، ولو كنت مكانها لما حزنت كل هذا الحزن من أجل رجل له علاقات بنساء أخريات.

فأومأ بوارو برأسه وقال :

- نعم .. نعم . ولكن الحب أحياناً يغفر كل شيء ، ولكن .. لا شك أن كثيراً من المنازعات حدثت بين الزوجين في الأسابيع الأخيرة .

- أبداً يا سيدي .. انني لم أسمع سيدتي تلفظ بكلمة عتاب واحدة أو تفقد أعصابها ، انها وديعة كالملاك ، بعكس سيدي ..

- ألم يكن المسيو رينولد وادعاً كالملاك ؟

- على العكس يا سيدي ، كان يبدو كالثور الهائج ، يوم تشاجر مع سيدي الشاب جاك . ابنه .

- ومتى حدثت هذه المشاجرة ؟

– كانت قبل سفر سيدي جاك إلى باريس مباشرة ، بل لقد كان مسرعاً وحمل حقيبة السفر الموضوعة في الصالة ، وقد رأيت وجهه شاحباً من فرط الغضب ، وقد اضطر إلى ركوب سيارة مأجورة ، لأن سيارة والده كانت تحت الاصلاح .

وبدا بوارو مستمتعاً بحديثها ، إذ سألها قائلاً :

– وماذا كان سبب المشاجرة ؟

– آه .. هذا ما لم أعرفه يا سيدي ، كانت أصواتهما مرتفعة ونبراتهما سريعة فلم أفهم شيئاً ، وقد ظل سيدي رينولد مكفهر الوجه طوال اليوم .

وأردفت ليونيه قائلة حين سمعت وقع أقدام فرانسواز :

– آه . لا بد أن أسرع إلى عملي قبل أن أتعرض للسان هذه العجوز .

وقال بوارو بسرعة :

– لحظة واحدة يا آنسة .. أين المحقق الآن ؟

– انه مع السيد مدير الشرطة في الكراج يفحصان السيارة ليعرفا ما إذا كانت استعملت ليلة الحادث أم لا .

ولما انصرفت قلت لبوارو :

– هل ستذهب اليهما ؟

– لا .. سأنتظر عودتهما في غرفة الصالون ، إن هواءها منعش !

وعندئذ قلت متردداً :

– هل تسمح لي أن ..

– آه .. أتريد أن تقوم ببعض الأبحاث والتحريات بنفسك ، حسناً .. حسناً ، اذهب يا صديقي واستمتع بوقتك كما تشاء !

– اني أريد أن ألقي نظرة على المفتش جيرود ، وأرى ماذا يفعل الان !

– آه .. أتمني كلب الصيد الادمي .. اذهب يا صديقي وافعل ما تشاء .؟

وغادرت الفيللا وفي نيتي الذهاب إلى مسرح الجريمة .

وبدلاً من أن أتخذ الطريق العادي ، اختصرت المسافة واخترقت حاجز الشجيرات الفاصل بين حدود الفيللا وملعب الجولف .

ولكنني ما كدت أخرج من الدغل حتى رأيت شابة واقفة وظهرها إلى دغل الشجيرات .

ولما سمعت وقع قدمي التفتت ..

وهنا هتفنا معاً في دهشة وعجب :

– أنت ؟!

ذلك أنها كانت صديقة القطار .. سندريللا ؟

وتمالكت الفتاة نفسها ثم قالت :

– ماذا تفعل هنا !

– وأنت ؟ ماذا تفعلين ؟

– عندما رأيتك أول أمس ، كنت في طريقك إلى انجلترا ، فماذا جاء بك ؟

– وأنت حين رأيتك أول أمس كنت تبحثين عن اختك ، وبهذه المناسبة ، كيف حالها ؟

– شكراً على سؤالك ، إنها بخير .

– ألا تخبريني على الأقل لماذا أنت هنا ؟

– ألم تسمع أبداً بأن بعض الناس يأتون إلى هنا للراحة والاستجمام ، والان كفى أسئلة ، انك لم تخبرني لماذا جئت أنت إلى هنا ؟

– هل تذكرين حديثي عن زميلي في المسكن ، ضابط المباحث السابق بوارو ؟

– نعم ..

– ولعلك سمعت عن الجريمة التي وقعت هنا ، في فيللا جنيفيف .

وحملقت في وجهي بفزع وقد لهثت أنفاسها وهي تقول :

– أتعني أن .. انك مشترك في التحري والتحقيق ؟

ولما اومأت برأسي ابتسمت وقالت :

– إذن لماذا أنت واقف هكذا ، لماذا لا تصحبني في جولة لأرى بنفسي فظائع هذه الجريمة ، انها فرصة لا تعوض

– ماذا تعنين ؟

– ألم أذكر لك انني من هواة القصص البوليسية ؟ فهل هناك متعة أكبر من أن أرى إحدى الجرائم على الطبيعة ؟

– ولكن . إنهم لا يسمحون لأحد أن .. أن يرى شيئاً ؟

– الست أنت وصاحبك من الكبار هنا ؟

وكرهت أن أخيب أملها ، فقلت :

– نعم ، نعم .. ولكن ماذا تريدين أن تشاهدي مثلاً ؟

فأجابت :

– كل شيء .. مكان وقوع الحادث .. والسلاح .. والجثة ، وبصمات الأصابع وما إلى هذا كله ، إن هذه الفرصة لم تتح لي من قبل ، إنها فرصة العمر .

ثم وضعت ذراعها في ذراعي ..

وقالت وهي تبتسم في وجهي :

– هلم يا عزيزي الطيب القلب .

ولم يسعني إلا أن أنزل عند رغبتها .

فمضيت بها أولاً إلى المكان الذي وقعت فيه الجريمة .

وقد حيانا هناك الحارس الواقف بالمكان بعد أن رآني في اليوم السابق

مع هيئة التحقيق .

وبعد أن ذكرت لها تفاصيل ما حدث ، مضيت معها إلى الفيللا ، وحرصت على أن أذهب إلى الجانب الخلفي منها حتى لا يرانا أحد .

ولما وصلنا إلى الكوخ الذي وضعت فيه الجثة ، تذكرت أن المسيو بكس عهد بمفتـــاحه إلى الشرطي مارشود المكلف بحراسة مدخل الفيللا ، وتركت سندريللا عند الكوخ ، وذهبت إلى مارشود الذي قال لي حين رآني :

– إذا أردت مقابلة المحقق ، فإنه في غرفــة المكتب يعيد سؤال فرانسواز .

فقلت له ببساطة :

– لا .. ولكنني أريد مفتاح الكوخ الخلفي لأمر هام إذا لم يكن لديك مانع .

فقدمه إليّ فوراً وهو يقول :

– بكل تأكيد يا سيدي ، لقــد أمرني المسيو هوتيت بتقديم كل التسهيلات الممكنة لك وللمسيو بوارو ، أرجو فقط أن تعيد المفتاح إلي بعد أن تفرغ من مهمتك .

وشكرت مارشود وأنا أشعر بأهميتي ، ولما رأت سندريلا المفتــاح معي ، هتفت قائلة :

– هل حصلت عليه ؟!

– طبعــاً .. ولكن يجب أن تعلمي أن ما نفعله يخالف التعليمات تمــاماً .

– انني لن أنسى لك هذا الصنيع ، هلم قبل أن يرانا أحد .

– لقد رأيت كل شيء تقريباً ، فهل من الضروري أن تري الجثـــة أيضاً ؟ انه منظر لا يسر أحداً .

فضحكت قائلة :

– لا تخف أن لي أعصاباً من حديد .

ودخلنا الكوخ ..

وقلت لها وأنا أرفع الغطاء عن وجه القتيل :

– أترين .. إنه طعن من الخلف ؟

وتمتمت والفزع ملء صوتها :

– بماذا ؟

فأشرت الى الخنجر الصغير الموضوع في الاناء الزجاجي وقلت :

– بهذا .

وفجأة هوت الفتاة مغشياً عليها وهي تتمتم :

– ماء . ماء . بسرعة !

وتركتها مسرعاً ودخلت الفيللا !

ومن حسن الحظ لم التق بأحد .

فحملت زجاجة براندي وعدت بها مسرعاً ووضعت بضع قطرات منها في فم الفتاة ، ففتحت عينيها وتمتمت :

– أخرجني من هنا بسرعة .

واستندت بذراعها على ذراعي ، ومضيت بها الى الهواء الطلق بعد أن أغلقت الباب وراءنا !

وتنفست بعمق وقالت :

– انني الآن احسن حالاً .

وقلت لها وقد تأكدت أن أعصابها ليست حديدية كما زعمت :

– لقد حاولت أن أمنعك من هذا ؟

– نعم ، نعم .. شكراً لك ، طاب يومك ؟

– ولكن كيف تنصرفين وأنت على هذه الحالة ؟

– انني بخير ، ويجب أن أسرع الآن بالعودة الى المدينة ، لقد تأخرت كثيراً .

ولما بدأت تنصرف قلت لها :

– مهلاً ، انك لم تذكري لي عنوانك ؟

– انني أنزل في فندق دي فير ، ارجو ان تأتي لزيارتي غداً .

– سأفعل !

وكنا قد ابتعدنا عن الفيللا الى الطريق العام .

وبعد أن شيعتها بنظراتي ، عدت مسرعاً وقد تذكرت انني تركت المفتاح في باب الكوخ .

ولما رأيته في مكانه ، تنهدت بارتياح ، فتناولته وأسرعت باعادته الى الشرطي مارشود دون أن يلمحني أحد .

- ٩ -

ودخلت الصالون بهدوء ، وكان المحقق المسيو هوتيت يستجوب البستاني الذي اعترف بأن القفازين اللذين وجدا في الكوخ هما ملك له ، وانه يستعملها أحياناً في مسك بعض النباتات الشوكية ، وانه لا يحتفظ بهما عادة في مكان معين ، اما الجاروف فكان يوضع عادة في الكوخ أيضاً ، والكوخ يغلق بالمفتاح ، ولكن المفتاح يبقى في الباب ، لأنه لا يوجد شيء في داخله يخشى عليه من السرقة .

وبعد انصراف البستاني ، هز المستر هوتيت رأسه وقال :

– إننا لم نعرف منه إلا القليل ، ويبدو ان علينا أن ننتظر حتى يصل الينا الرد من سنتياجو .

وهنا أقبل جيرود وقال :

– لا داعي لهذا يا مسيو هوتيت ، وها انا ذا تحت أمرك .

وكانت لهجة جيرود وهو يتحدث مع المستر هوتيت تدل على ان العلاقة بين الاثنين ليست كما ينبغي .

ولا عجب ان رد عليه المستر هوتيت قائلاً في سخرية واضحة :

– آه ! لعلك عرفت الجاني يا مسيو جيرود ، بل لعلك تعرف أين هو الآن ؟

– اني أعرف على الأقل من أين جاء ، اعني هو وصاحبه !

ثم أخرج من جيبه شيئين صغيرين وضعهما على المائدة .

ونظرنا جميعاً إلى هذين الشيئين فإذا هما عود ثقاب غير مستعمل وعقب سيجارة !

وقال جيرود بلهجة المنتصر لبوارو :

— ماذا يمكن أن تفهم من هذين الشيئين يا مسيو بوارو ؟

فبسط بوارو كفيه وقال :

— لا أفهم منهما شيئاً ؟

— انك تقول هذا لأنك لم تفحصهما بالعقلية الحديثة ، إن عود الثقاب ليس من النوع العادي — هنا على الأقل ، ولكنه معروف كثيراً في أمريكا الجنوبية ، ومن حسن الحظ أنه لم يستعمل ، وإلا لما تعرفت عليه ، والواضح أن أحد الرجلين أسقط من علبة الثقاب عوداً وهو يتناول عوداً آخر ليشعل سيجارته ؟

— وماذا عن العود الآخر ؟

— أي عود تعني ؟

— الذي أشعل القاتل ؟ ألم تعثر عليه مستعملاً ؟

— لا ..

— لعلك لم تكن دقيقاً في البحث بما فيه الكفاية ؟

— لم أكن دقيقاً !

ثم نظر إلى بوارو ولمح نظرات التهكم في عينيه .

وعندئذ قال :

— أرى انك تسخر مني يا مسيو بوارو ، ولكن .. ما رأيك في عقب السيجارة الذي يدل بوضوح على أنها سيجارة من النوع المعروف في أميركا الجنوبية ؟

وقال مدير الشرطة :

– لعل عود الثقاب وعقب السيجارة كانا من ممتلكات المسيو رينولد ، لا تنس أنه جاء من اميركا الجنوبية منذ عامين فقط .. ومعنى هذا انـه ربما كان يحتفظ ببعض السجائر وعلب الثقاب التي جاء بها من هناك .

وقال بوارو :

– ألا ترى من العجيب أن يأتي قاتلان دون ان يتزودا بالقفاز أو بأداة القتل أو بجاروف .. ثم يجدان هذا كله جاهزاً .

– هذا يعني أنه كان لهما شريك داخل الفيللا ، أو خارجها .

– وهذا الشريك هو الذي فتح لهما الباب ؟

– ربما .. وربما كان معهما مفتاح ، أو مع هذا الشريك مفتـــاح .. ولعل المسيو جاك فقد مفتاحه الخاص ، أو لعل البستاني كان يحتفظ بمفتاح للفيلا منذ عهد أصحابها القدامى .. ومن يدري ، لعل مدام دربريل تحتفظ بمفتاح خاص لها ..

وقال المستر هوتيت في دهشة :

– هل سمعت عن هذه العلاقة أيضاً ؟

– اني أسمع كل شيء بطريقتي الخاصة .

وهنا قال المستر هوتيت بلهجة انتصار :

– أراهن أنك لم تسمع بهذا .

ثم قدم له قطعة الشيك المكتوب عليها اسم « دوفين » والرسالة الموقعة باسم « بيللا » .

وقال جيرود بعد أن فحصها :

– إن هذا لا يغير من نظريتي شيئاً .

– وما هي نظريتك يا مسيو جيرود ؟

– أفضل أن أحتفظ بها لنفسي الآن ، لأني ما زلت في بداية التحريات .

وقال له بوارو :

– أخبرنا بشيء واحد يا مسيو جيرود إن نظريتك تفسر طريقة فتح الباب ، ولكن هل لديك تفسير للسبب الذي من أجله ترك الباب مفتوحاً حتى الصباح ؟ ألم يكن من الأفضل للقاتلين أن يغلقا الباب بعد انصرافهما مع المجنى عليه .

– رأيي أنهما نسيا اغلاقه ..

وفوجئت ببوارو يقول :

– اني لا أتفق معك في هذا يا مسيو جيرود ، لقد ترك الباب مفتوحاً عن عمد أو للضرورة ، وأي تفسير غير هذا لا جدوى منه .

وعبث المفتش جيرود بشاربه وقال لبوارو في استخفاف :

– انك لا تتفق معي ؟ حسناً .. ما هو رأيك إذن في الجريمة ؟

– اني أسألك يا مسيو جيرود .. ألا تـذكرك هذه الجريمة بشيء ! أعني بجريمة أخرى .. مماثلة ؟

– جريمة أخرى .. مماثلة ! أين .. ومتى ؟

– إني لا أذكر الآن . ولكني سأذكره بعد قليل ، ولكنك تعرف تماماً أن لكل مجرم وسيلته أو أساليبه الخاصة في ارتكاب جرائمه ، سواء كانت جرائم سرقة أو اختلاس او احتيال أو قتل .. وهو يكرر هـذه الوسائل والأساليب طالما أنه لم يقع في قبضة العدالة ، لأنه يعتبر أساليبه هذه هي الأفضل والأضمن نجاحاً .

وقال جيرود في تهكم :

– وما هو الهدف من هذه المحاضرة ؟

– الهدف هو انه إذا وقعت جريمتان بأسلوب واحد ، فمن المؤكد أن وراءهما تفكير أو تخطيط عقل واحد .. وبالاضافة إلى هذا أحب ان ألفت نظرك إلى الساعة التي تقدمت ساعتين ووجدت مكسورة الزجاجة في غرفة النوم .

فقال جيرود بنفس اللهجة الهازئة :

– إن الساعات أحياناً تقدم وأحياناً تؤخر .

– ولكن من النادر جداً أن تقدم ساعة مقدار ساعتين في مدة وجيزة !

وهز جيرود كتفيه ..

وفي تلك اللحظة أقبل الشرطي مارشود وقال للمحقق :

– لقد وصل الآن من انجلترا المسيو ستونر .. السكرتير الخـــاص للمسيو رينولد !

كان الرجل الذي دخل الغرفة ملفتاً للنظر بطول قـامته ، واناقتـه ، وجسمه الرياضي ، ووجهه الملوح ، وشخصيته الاسرة التي تركت أثرهـا في نفوسنا جميعاً ، وكان الواضح أن جابرييل ستونر من هؤلاء الانجلـيز الذين طافوا حول العالم ، وخاضوا الكثير من معارك الحياة .

وقال بعد أن حيانا جميعاً :

– إنه لحادث مروع حقاً .. كيف حـال المسز رينولد الان ؟ لا شك أن الصدمة كانت شديدة عليها .

وقال المستر هوتيت بعد أن قدم اليه جميع الموجودين .

– نعم .. نعم .. كانت الصدمة شديدة حقاً .

ونظر ستونر إلى بوارو ، وقال له بعد أن عرف سبب حضوره :

– إذن لقد أرسل اليك المستر رينولد طالباً الحماية من خطر داهم ؟

– ألم تكن تعرف هذا ؟

– لا .. ولكن هذا التصرف لا يدهشني .

– لماذا ؟

– لأنه كان مضطرباً شديد القلق في الأيام الأخيرة ، ولكنـه لم يفض الي بما كان يزعجه ، إلا أنه كان واضح القلق والاضطراب .

وسأله المستر هوتيت ،

– منذ متى وأنت تعمل سكرتيراً له يا مسيو جابرييل ستونر ؟
– منذ عامين . أي بعد وصوله من اميركا الجنوبية مباشرة ، وقد توسط لي أحد الأصدقاء للعمل معه .. لقد كان مخدوماً ممتازاً طيب القلب .
– هل كان يحدثك عن حياته في اميركا الجنوبية .
– كثيراً ..
– هل قال لك انه زار مدينة سنتياجو !
– نعم .. لقد تردد عليها كثيراً .
– ألم يخبرك بشيء فعله هناك أدى إلى حقد بعض الأشخاص عليه .
– لا .. مطلقاً ؟
– هل أخبرك عن « سر » حصل عليه هناك ؟
– لا أذكر أنه قال لي شيئاً من هذا ، ولكنني أذكر انه لم يحدثني اطلاقاً عن طفولته أو شبابه .. أو عن أي شيء من حياته قبل سفره إلى اميركا الجنوبية ، وأعتقد أنه كندي المولد من أصل فرنسي ، ولكنه لم يحدثني اطلاقاً عن حياته قبل سفره إلى اميركا الجنوبية .
– هل سمعت يوماً باسم « دوفين »؟
– أعتقد اني سمعت هذا الاسم ، ولكنه يبدو مألوفاً لدي .
– هل تعرف انه كان للمسيو رينولد صديقة اسمها بيللا دوفين ؟
– آه .. اني سمعت هذا الاسم ، ولكنني لا أذكر متى او اين ؟
– أرجوك يا مسيو ستونر . إن الأمر أخطر جداً من أن تحتفظ في نفسك بشيء يمكن ان يضيء الطريق إلى القاتل .
– ماذا تعني يا سيدي ؟
– اعني إنك ربما تخشى أن تزيد آلام مدام رينولد إذا أخبرتنا مثلاً بأنه كانت هناك علاقة خاصة بين زوجها وبين المدعوة بيللا دوفين ؟
فقال جابرييل ستونر بحماس :

– اؤكد لك يا سيدي ان المستر رينولد كان يعبد زوجته ولا يفكر في خيانتها اطلاقاً .

– إن لدينا الدليل الحاسم على انه كان على علاقة غرامية بامرأة تدعى بيللا .. رسالة غرام وجدت في جيب معطفه ، كما انه كان يستقبل في مكتبه ليلا مدام دوبريل في مساء ليلة الحادث .

– وأنا أؤكد لك يا سيدي أن هذا كله بعيد عن الحقيقة كل البعد ، لا بد أن هناك أسباباً أخرى غير الحب ، هي التي ربطته ببعض النساء .

– إذن ما هي هذه الأسباب ؟

– ما الذي جعلكم تظنون أن هناك علاقة غرامية بينه وبين مدام دوبريل ؟

– كانت تزوره في أمسيات كثيرة ، وقد زاد رصيدها المالي في البنك أربعة آلاف جنيه انجليزي في أسبوعين فقط .

– اعتقد ان هذا صحيح ، لقد كنت أحول لها هذه المبالغ بناء على أوامره ؟ ولكن الأسباب لم تكن غرامية .

– إذن ماذا كانت ؟

– كانت نوعاً من الابتزاز ؟

– ماذا تقول ؟

– أقول أن مدام دوبريل كانت تعرف عنه شيئاً وتستغل هذه المعرفة أسوأ استغلال .. ولو عاش سنة واحدة لظفرت منه بمليون جنيه .

– هذا محتمل ..

فقال ستونر بلهجة تأكيد :

– بل هذا هو المؤكد ، في رأيي على الأقل .

– حسناً .. هناك نقطة اخرى ، هل تعرف شيئاً عن الوصية التي تركها المسيو رينولد ؟

– نعم ، لقد حملت وصيته بنفسي إلى المحـــامين ليحتفظوا بها في سجلاتهم ، وهي تقسم ثروته نصفين ، نصف لزوجته ، والنصف الاخر لابنه جاك .

– متى كتب هذه الوصية ؟

– منذ عام ونصف عام تقريباً .

– هل يدهشك أن تعلم أنه استبدل بها وصية أخرى منـــذ اسبوعين ، وقد اوصى بكل ثروته في الوصية الجديدة إلى زوجته .

– انه لا علم لي بهذا ، ولكنه ظلم للابن ، حقاً ان أمــه تحبه جداً .. ولكن هذا التصرف يجعله يظن أن أباه لم يكن يثق به ، وأياً كان الأمر فهذا يؤيد قولي عن حب المستر رينولد الشديد لزوجته .

وقال المستر هوتيت :

– نعم ، نعم .. وقد أرسلنا برقية إلى سنتياجو ، وأعتقد أن الرد سيوضح أشياء كثيرة .

وهنا قال بوارو للمستر ستونر :

– منذ متى كان يعمل سائق السيارة مع المسيو رينولد .

– منذ عام تقريباً .

– هل كان معه في اميركا الجنوبية ؟

– لا .. مطلقاً ، لقد كان يعمل قبل حضور المستر رينولد من امـيركا الجنوبية ، مع أسرة أعرفها في جلو ستر شاير .

– هل تشهد بأنه بعيد عن الشبهات ؟

– نعم .. بكل تأكيد .

وفي تلك اللحظة فوجئنا بالمسز رينولد تقبل شاحبة الوجه .

وأسرع ستونر وقدم اليها مقعداً وساعدها على الجلوس وهو يتمتم بعبارات المواساة .

وقال لها المستر هوتيت :

— كنت سأصعد اليك يا سيدتي لأسألك عن مرحلة طفولة وشباب المسيو رينولد .

فهزت رأسها وقالت :

— لم يكن يتحدث عن هذه المرحلة اطلاقاً ، ويبدو أنها كانت مؤلمة بالنسبة له .

— هل كانت في حياته بعض الأسرار ؟

— لا أظن .

— أرجو ألا تغضبي يا سيدتي من سؤالي ، هل تعرفين أنه كانت بين زوجك ومدام دبريل علاقة حب ؟

وأخفت مدام رينولد وجهها بين يديها وشهقت بالبكاء ثم قالت :

— نعم ، كانت بينهما علاقة حب

ولم أر في حياتي نظرة دهشة وعجب كالتي رأيتها تطل من عيني ستونر وهو يرمق مدام رينولد !

- ١١ -

وقبل ان يلقي احد مزيداً من الأسئلة ، فتح الباب فجـأة في عنف ، وتقدم نحونا شاب طويل القامة .

وخيل اليّ برهة أن القتيل بعث حياً ، لولا أن ادركت فوراً ان الوافد الجديد ليس أشيب الشعر ، وإنما هو شاب في مقتبل العمر ، موفور القوة ، اسرع الى المسز رينولد دون أن يحفـل بالاخرين ، وانحنى عليهـا في اشفاق قائلاً :

– أماه !

وهتفت الأم وهي تأخذه بين ذراعيها :

– جاك ، يا ابني الحبيب ، ولكن ماذا جاء بك ، المفروض انك الان على الباخرة انزورا التي ابحرت من شيربورج منذ يومين .

وشعرت فجأة بالموجودين معها في الغرفة فقالت لهم :

– ابني جاك !

وقال المستر هوتيت وهو يرد على تحية جاك :

– إذن فلم تبحر على الباخرة انزورا .

– لا يا سيدي ، كنت سأشرح هذا الأمر الان ، لقد تأخرت البـاخرة عن الابحار أربعاً وعشرين ساعة بسبب خلل في المحركات ، ولما اوشكت على الابحار ، حدث أن طالعت في احدى صحف المساء المأساة التي وقعت هنا .

وتهدج صوت الشاب وظفرت الدموع إلى عينيه وهو يتمتم :

– يا لأبي المسكين ، يا لأبي المسكين !

ونظرت المسز رينولد اليه كأنها في حلم وقالت :

– إذن فأنت لم تبحر .

ثم أردفت قائلة بصوت خافت كأنما تحدث نفسها :

– لم يعد لسفرك أهمية على كل حال !

وقال المستر هوتيت :

– اجلس من فضلك يا مسيو جاك ، اني أقدر مشاعرك وأواسيك ، ولعل تأخرك عن السفر في صالح القضية ، لأننا في حاجة شديدة إلى أن نعرف منك بعض الحقائق .

– اني تحت أمرك يا سيدي ، سل ما تشاء .

– أعتقد أولاً ان هـذه الرحلة التي تخلفت عنهـا كانت بناء على رغبة والدك ؟

– نعم يا سيدي .. لقد تلقيت برقية من أبي يطلب مني فيها الابحـار إلى بيونس ايرس ، ومنها – عبر جبال الأنديز – إلى فـالباريزو .. ثم سنتياجو

– وماذا كان الهدف من هذه الرحلة ؟

– لم أكن أعرف يا سيدي .

– عجباً !

– هذه هي البرقية ، اقرأها بنفسك يا سيدي !

وكانت البرقية كما يلي :

« أمضي إلى بيونس ايرس على الباخرة ازورا ، ومنهـا إلى سنتياجو حيث تصلك تعليمات أخرى . الأمر مهم جداً .

رينولد »

وقال جاك :

– ان لأبي مصالح كثيرة في سنتياجو . ولكني لم أكن أعرف على وجه التحديد ماذا كان يريد مني أن أفعل هناك .

– لا شك أنك أمضيت جانباً كبيراً من حياتك في أميركا الجنوبية ؟

– كنت هناك منذ طفولتي ، ولكني أتممت تعليمي في انجلترا ، وفيها ايضاً امضيت معظم عطلاتي المدرسية ، ولهذا فإني أعرف عن انجلترا اكثر مما أعرف عن اميركا الجنوبية .

– هل خدمت أثناء الحرب في القوات الجوية ؟

– نعم ..

واستمر المحقق في أسئلته ..

وأجاب جاك قائلاً انه لا يعرف انه كان لأبيه أعداء يهددون حياته ، وانه لاحظ فعلاً أن اباه كان مضطرباً قلقـاً في الأيام الأخيرة ، وانه لم يسمع عن ذلك « السر » الذي أشار اليه المحقق .

وبعد ذلك قال المفتش جيرود :

– هل كنت على علاقة طيبة بوالدك .

فقال الشاب في امتعاض :

– طبعـاً !

– ولكن الجميع شهدوا بأن مشاجرة حامية وقعت بينك وبين والدك قبيل سفرك إلى باريس .

– نعم .. حدثت مشاجرة بيني وبينه .

– ألم تقل لوالدك أثناء المشادة « لسوف أفعل ما أشاء بعد موتك » .

– ربما قلت هذا ، اني لا اتذكر ..

– وقد رد والدك على هذا بقوله : « ولكني لم أمت بعد » فقلت له :

« إني اتمنى لو انك ميت » !

ولم يجب الشاب .

وقال جيرود :

– إني أطالبك بالاجابة .

فرد جاك بحدة :

– رما قيمة هذا ! نعم . لقد قلت هذا كله أثنـــاء المشاجرة ، لقد كنت في حالة غضب شديد ، والانسان في حالة الغضب يمكن أن يقول أي شيء .. بل يمكن ان يرتكب جناية قتل ..

وسأله المستر هوتييت :

– وماذا كان سبب المشاجرة يا مسيو جاك ؟

– اني ارفض الاجابة .

– إن الموقف خطير يا مسيو جاك ، ورفضك الاجابة لن يكون في صالحك .

ولما أصر جاك على الصمت ، قال بوارو :

– يمكنني أن أخبرك بالسبب يا سيدي ؟

– أتعرفه !

– نعم .. إن المشاحرة كانت بسبب الآنسة مارتا دوبريل .

وهنا وثب جاك واقفاً .

وقال المستر هوتييت :

– أهذه هي الحقيقة يا مسيو جاك ؟.

فأحنى الشاب رأسه وقال :

– نعم .. لقد أحببت الآنسة مارتا دوبريل واردت الزواج بها ، ولكن أبي ثار في وجهي بعنف ، ولم استطع أن احتمل الاهانات التي وجهها أبي اليها وهكذا فقدت زمام اعصابي .

وسأل هوتيت مدام رينولد :

– هل كنت تعرفين هذا كله يا سيدتي ؟

– نعم ، وكنت اخشى عواقب هذا الحب .

وصاح الشاب :

– وأنت أيضاً يا أماه ، إن مارتا طيبة القلب بقدر ما هي جميلة ، ماذا يمكن أن تأخذيه عليها ؟

– اني لا آخذ عليها شيئاً ، ولكني كنت أفضل لو انك تزوجت فتــاة انجليزية أو فرنسية ، ولكني لا ارضى لك أن تتزوج فتاة مجهولة الأصل.

وكان الواضح من لهجة الأم انها تفضل الموت على أن ترى ابنها زوجــاً لابنة غريمتها .

وعادت تقول موجهة الحديث للمحقق :

– كان يجب أن اخبر زوجي بعلاقة جاك بهذه الفتــاة في أول الأمر ، ولكني ظننت أنها علاقة عابرة لن تنتهي بالزواج ، وكان زوجي في الوقت نفسه في حالة قلق شديد ، فأردت ألا أثقل عليه بهذا الأمر .

وقال هوتيت لجاك :

– هل غضب والدك بمجرد ان ذكرت له انك تريــد الزواج من الآنسة مارتا دوبريل .

نعم .. اشتعل غضبه فجأة وامرني بقطع علاقتي بها فوراً ، ولما طلبت منه أن يذكر لي سبباً واحداً ، لم يستطع ، ولكنه قال فقط ان الشائعات تدور حول أمها ، وعندئذ قلت له اني سأتزوجها هي ولا شأن لي بأمهــا ، ولكنه أصر على موقفه ، وشعرت ان هذا الموقف ينطوي على ظـــلم واستبداد ، فأفلت مني زمام أعصابي ، وأعتقد اني قلت اثنــاء المشاجرة اني سأفعل ما اريد بعد موته ..

وهنا قال بوارو :

ـ كأنك كنت تعرف شروط وصيته ؟

ـ نعم ، كنت أعرف انه ترك لي نصف ثروته ، والنصف الاخر لأمي على أن أرثه بعدها .

ـ حسناً ، استمر في قصتك !

ـ وفي أثناء صباحنا ، تذكرت اني قد أتأخر عن موعد القطار فأسرعت إلى المحطة ، وبعد أن هدأت أعصابي كتبت رسالة إلى مارتا أخبرها بكل ما حدث ، وكان ردها بلسماً لالامي ، لأنها قالت لي أن علينا أن نواجه أية عاصفة بقوة الحب ، وان والدي حين يتأكدان من صدق حبنـا ، سيوافقان في النهاية على الزواج ، وبهذه المناسبة ، أقول اني لم اخبرها بالسبب الذي من أجله كان أبي يعترض على زواجي بها .

وقال المستر هوتيت :

ـ لننتقل إلى نقطة أخرى .. هل تعرف احداً باسم دوفين ؟

فهز جاك رأسه وقال :

ـ دوفين .. دوفين ؟ لا .. لا اعرف احداً بهذا الاسم .

ـ إذن اقرأ هذه الرسالة واخبرني، هل كانت موجهة إلى والدك ، وممن؟

وقرأ جاك الرسالة ..

ثم قال في دهشة :

ـ موجهة إلى أبي ؟

ـ نعم ، وجدناها في جيب معطفه .

وارسل جاك نظرة سريعة إلى امه .

بينما استطرد المستر هوتيت قائلاً :

ـ هل تعرف من يكون المرسل ؟

ـ لا ، اطلاقاً ..

ـ عجباً ؟ إذن لنتحول إلى موضوع السلاح ، اعتقد يا مسيو جاك ان

السلاح الذي ارتكبت به الجريمة كان هدية منك لوالدتك .

فأربد وجهه وهو يقول :

– أتعني ذلك الخنجر الصغير المصنوع من معدن الطـــائرات ! ان هذا مستحيل ؟ كيف ترتكب جريمة بسلاح صغير كهذا ؟

– هذه هي الحقيقة يا مسيو جاك ، ان السلاح صغير حقـــاً ، ولكنه حـــاد جداً .

– اين هو ، هل يمكن ان أراه ؟ الا يزال في الجثة ؟

– لا . لقد رفعناه عنها ، واذا اردت رؤيته فلا بـأس ، يمكن للمسيو بكس ان يأمر باحضاره .

ونهض المسيو بكس ليحضر الخنجر ، ولكنه لم يلبث ان عـاد مسرعاً وهو يقول في اضطراب :

– يا سيدي المحقق ، لقد اختفى الخنجر .

– اختفى ، ليس له وجود ، ان الاناء الزجاجي خال تماماً منه .

وهنا قلت أنا :

– هذا مستحيل ، مستحيل .

والتفت الجميع نحوي !

وفجأة أدركت حرج موقفي فقلت بهدوء :

– أقول أن الأمر مستحيل لأني رأيته هذا الصباح ، منذ ساعة ونصف ساعة تقريباً !

وقال المستر هوتيت في تساؤل ودهشة :

– هل دخلت الكوخ هذا الصباح لماذا ؟ وكيف ؟

– لقد أخذت المفتاح من الشرطي الحارس .

– ولكن .. لماذا ؟

– يبدو اني ارتكبت غلطة كبيرة أرجو ان تغفرها لي يا سيدي !

– أخبرنا بما حدث .

– الواقع اني التقيت بفتاة صديقة لي ، وقد أرادت بدافع الفضول ، ان ترى الجثة ، فحققت لها رجاءها .

– ولكن هذا يخالف التعليمات والأوامر يا مسيو هاسلتنج كيف سمحت لنفسك بارتكاب شيء كهذا .

– اني شديد الأسف يا سيدي !

– هل انت الذي دعوت هذه الآنسة للحضور ؟

– لا .. مطلقاً ، لقد التقيت بها مصادفة ، وهي فتاة انجليزية وتقيم مؤقتاً بمدينة ميرلنفيل .

– حسناً ، حسناً .. لا شك انها فتاة شابة جميلة ، ولهذا لم تستطع أن ترفض طلبها .

وتنهد هوتيت بعمق !

وقال المسيو بكس :

– ولكنك لم تغلق الباب بالمفتاح بعد انصرافك معها ؟

– هذه هي الغلطة الكبرى ، لقد تركت المفتاح بالباب حتى وصلت بها إلى الطريق العام ، ثم عدت وتذكرت الأمر فأغلقت الباب ، وأعدت المفتاح إلى الشرطي .

– اي ان المفتاح بقي في الباب نحو ثلث ساعة !

– تماماً ..

– هذا أمر خطير !

– بدون شك يا سيدي .

وهنا فوجئنا جميعاً بالمفتش جيرود يقول باسماً :

– بل أمر مدهش رائع !

وقال له هوتيت في عجب شديد :

- لماذا ؟

- لأن هذا يدل على أن القاتل او أحد شركائه ، قريب من هذا المكان ، أعني أنه كان هنا منذ ساعة تقريباً ، وهذا يجعل من السهل علينا أن نصل اليه في أقرب وقت ، ولا شك انه غامر بأخذ الخنجر لأنه يخشى أن يكون عليه بصمات أصابع .

والتفت بوارو إلى بكس وقال :

- ألم تقل أنه لم يكن عليه بصمات اصابع من أي نوع ؟

وهز جيرود كتفيه وقال :

- ربما لم يكن القاتل واثقاً !

فقال بوارو :

- اني لا اتفق معك في هذا يا مسيو جيرود ، لقد كان القاتل مرتدياً قفازاً ، ولهذا لا بد أن يكون واثقاً من نفسه .

- أنا لم أقل القاتل نفسه ، ولكن ربما كان شريكه الذي لم يكن واثقاً من هذا الأمر .

وقاطعهما هوتيت قائلا :

- لقد انتهينا من عمل اليوم ولا بد لنا من العودة إلى منازلنا للغداء والراحة

وفيما انا اخرج مع بوارو إلى الصالة قال لي :

- لسوف تخبرني بكل شيء عندما نصل إلى الفندق .

وفجأة توقف وأخرج من جيبه شريط مقياس وأسرع إلى معطف معلق على مشجب بجوار الباب وراح يقيسه من الياقة إلى الطرف الأسفل ، ولم اكن انا قد رأيت هذا المعطف ملقي في ذاك المكان من قبل ، ولعله كان معطف المستر ستونر او المستر جاك .

واعاد بوارو شريط المقياس إلى جيبه وهو يتمتم لنفسه ، ثم وضع ذراعه في ذراعي وانصرفنا الى الفندق .

- ١٢ -

وسألت بوارو ونحن في طريقنا إلى الفندق :

— لماذا قست طول ذلك المعطف ؟

— لأعرف طوله طبعاً ؟

وشعرت بالاستياء لأن بوارو اراد — بهذه الاجـــابة — ان يخفي عني بعض الادلالات التي توصل اليها .

وسرت بجانبه وانا احاول — عن طريق الاستنتاج - ان اصل بنفسي إلى بعض هــذه الدلالات .

وكان أول شيء أثار تفكيري هو قول المسز رينولد لابنها « اذاً فأنت لم تبحر ، ان هذا لا يهم على كل حال » .

ماذا كانت تعني من وراء هذه العبارة ؟ فلا شك ان لهذه الكلمـــات معانيها ودلالاتها الخفية ، هل يمكن أن يكون لديها معلومات اكثر مما نظن ؟

وقطع بوارو تفكيري بقوله :

— أراك مستغرقاً في التفكير يا عزيزي هاستنج ؟ فيم تفكر ؟

ولما أخبرته بمسار تفكيري قال :

— انك على حق ولا شك ، ومن رأيي أنها تخفي في نفسها أشياء كثـيرة ، وقد توجهت شبهاتي اليها منذ اللحظة الأولى .

— اتشتبه فيها يا بوارو ؟

– لماذا لا ؟ انها هي المستفيدة الوحيدة من موت زوجها ، فإن ثروته الضخمة ستؤول اليها وحدها ، وهذا ما جعلني افحص يديها لأرى هل كانت القيود عليها حقيقية ام مصطنعة ، وقد ثبت لي انها حقيقية ، وهذا يعني انها لم ترتكب الجريمة بمفردها ، وعدا هذا كله ، فإن الأقوال التي ادلت بها ليست غريبة علي .. اعني حكاية الرجلين المقنعين اللذين لم تتعرف عليهما ؛ وحكاية « السر » الذي ارادا ان يصلا اليه ؛ ويبدو لي اني قرأت او سمعت شيئاً عن هذا من قبل ! وهناك شيء آخر اكد لي انها لم تذكر الحقيقة .. وهذا الشيء هو الساعة يا هاستنج .. الساعة التي تحطم زجاجها .

فقلت في دهشة :

– ماذا عن الساعة أيضاً ؟

– سوف أشرح لك رأيي ، ما هو الوقت الذي وقعت فيه الجريمة في رأيك ؟

– في حوالي الساعة الثانية بعد منتصف الليل ، ألا تذكر ما قالته المسز رينولد في هذا الشأن ، قالت إنها سمعت ساعة الحائط تدق الثانية عندما اقتحم المجرمان غرفة نومها .

– حسناً جداً .. لقد اقتنع الجميع بهذه الأقوال ، أما أنا فأعتقد أن المسز رينولد كاذبة ، لقد وقعت الجريمة قبل ساعتين ، أي في حوالي الثانية عشرة !

– ولكن الطبيب الشرعي ..

– لقد اعلن الأطباء ان الوفاة وقعت قبل سبع او عشر ساعات من العثور على الجثة ، أي انها وقعت فيما بين الثانية عشرة والثالثة صباحاً ، لأنهم عثروا على الجثة في حوالي العاشرة صباحاً ، وقد حددوا وقوع الجريمة بعد الثانية بقليل بناء على أقوال المسز رينولد .

ولعلك سمعت او قرأت عن تحديد وقت وقوع بعض الجرائم

بالساعات المحطمة التي توقفت عند وقوع الجريمة .

وهذا ما حاول المجرم ان يفعله ، لقد حطم ساعة يد المسز رينولد بعد أن قدمها ساعتين لتقف على الثانية بعد منتصف الليـل ، اي لكي يوهم المحقق ان الجريمة وقعت فعلاً بعد الثانية بقليل .

ولكن القدر كان أقوى منه ، إذ تحطم زجاج الساعة فقط ، وظلت الساعة تدور متقدمة ساعتين !

وهذا ما جعلها تعلن السابعة مساء حين عثرنا عليها بينما كان الوقت لا يتجاوز الخامسة .

وقـــد أثار هذا في ذهني شيئين : الأول ان مدام رينولد كاذبة ، والثاني أن هناك سبباً قويـــاً جداً جعل مرتكب الجريمة يقدم الوقت ساعتين .

– وما هذا السبب !

– إني لا أعرفه على وجه التحديد الآن ، ولكن هناك احتمالاً بـأنه أراد ان يلحق بقطار الساعة الثانيـــة عشرة والربع الذي يقوم من محطة ميرلنفيل . فإذا أوهم الجميع بأن الجريمة وقعت بعد الثـــانية بقليل ، بينما ارتكبها هو في الثانية عشرة ولحق بقطـــار الثانية عشرة والربع ، ليثبت وجوده في مكان بعيد عن مسرح الجريـة عند وقوعها – إذا هو فعل هذا كله – أمكنه ان يفلت من العقـاب في ظنه طبعاً !

فهتفت قائلا :

– هذا هو التعليل الصحيح يا بوارو .. أحسنت !

– إننا لن نطمئن إلا بعد ان نتحرى في محطـة السكة الحديدية ، ولا شك ان عمال المحطة لن ينسوا منظر اثنين من الغرباء غـادراها في ساعة متأخرة منذ يومين !

– نعم .. هلم إلى المحطة بسرعة .

– ولكننا إذا ذهبنا فلن نسأل عن اثنين غريبين لهما لحيتان طويلتان ! عجبـــاً !

– اتصدق هذه الأقوال عن مجرمين مقنعين يتخفيـــان بوضع لحى مستعارة ؟

– اني لا افهم ماذا تعني يا بوارو ؟

– ألم تسمعني وانا اقول لجيرود اني سمعت او قرأت عن جريمـــة ارتكبها اثنان لهما لحيتان ، وما إلى هذا ! إن هذا يعني - في رأيي – ان العقلية التي ارتكبت الجريمة الأولى ، هي التي ارتكبت الجريمة الثانية او إن المجرم في جريمتنا هذه سبق ان قرأ تفـــاصيل الجريمة الأولى ، واراد ان يطبقها في جريمته هذه ، لأن المجرمــين في الأولى افلتوا من العقاب .

فقلت له غير مقتنع :

– لكن المستر رينولد ذكر لك في خطابه اليك شيئاً عن « السر » .

– لا شك ان له اسراراً كثيرة في حياته التي عاشها في سنتياجو ، وانا أعتقد ان كلمة « سنتياجو » هذه ليست إلا تضليلاً للعدالة ، ان المجرمــين تعمدوا اظهار هذه الكلمة ليوهمونا بأن الخطر آت من سنتيـــاجو او له علاقة بهذه المدينة ، بينما الخطر في رأيي كان اقرب كثيراً من هذا ، كان في فرنسا نفسها .

– إذن ما رأيك في عود الثقاب وعقب السيجـــارة اللذين عثر عليهما جيرود وثبت انهما من انتاج اميركا الجنوبية ؟

فابتسم بوارو وقال :

– لقد وضعا عمداً في طريقنا امعاناً في تضليلنا ، وهذا ما جعلني اسخر من فرحة جيرود عند عثوره عليهما .

– اذن فكل تلك الأقوال عن الرجلين المقنعين !
– كاذبة !
– إذن ما هي الحقيقة ؟

– المسز رينولد فقط هي التي تعرف حقيقة ما حدث ، ولكنها لن تعترف بأي ثمن او تحت تهديد ، انها امرأة قوية الارادة ، وقد اتجهت شكوكي نحوها في أول الأمر .. ثم غيرت رأيي .
– ولماذا غيرت رأيك ؟
– عندما رأيت حزنها العميق وتأثرها الشديد عندما وقعت نظراتها على وجه زوجها الميت ، وانا اقسم ان صيحة الألم التي ندت عنها لم تكن مصطنعة ابداً .

– وانا اعتقد هذا ايضاً .
– اذن ما دام حزنها على زوجها قد بلغ هذه الذروة ، فلا يمكن ان تكون هي القاتلة . ولكن .. لماذا كذبت ؟ لماذا كذبت في حديثها عن الرجلين المقنعين المزعومين ، ولماذا قدمت ساعة يدها مقدار ساعتين ؟ ثم بماذا تعلل فتح الباب الخارجي للفيللا يا هاستنج !
– اعتقد ان مرتكب الجريمة نسيه مفتوحاً ؟

– هذا هو رأي جيرود .. ولكنني لست مقتنعاً بهذا الرأي . ان المجرم او المجرمين لم يغادروا الفيللا عن طريق الباب . وإنما عن طريق النافذة !
– ماذا ؟! اننا لم نعثر على اية آثار للأقدام في حوض الزهور الواقع تحت نافذة غرفة نوم المسز رينولد .

فابتسم بوارو وقال :
– كان ينبغي ان تبقى هناك آثار للأقدام .. الا تذكر يا هاستنج ان البستاني اوجست قال انه كان يعنى بالحوضين في ظهر اليوم الذي

وقعت الجريمة في مسائه ! وقد رأينا آثار اقدامه في الحوض الأيسر ؛ اي الحوض الذي يقع على الباب الآخر من المـــدخل . وبينما لم نر أية آثار للأقدام في الحوض الأيمن الذي يقع تحت غرفة النوم .. فمـــا معنى هذا ؟ معناه ان المجرمين حرصوا على ازالة آثار الأقـدام وتسوية سطح حوض الزهور بعد هبوطهم من النافذة .

ـ ولكن لماذا استعملوا النافذة في الخروج بدلاً من الباب ؟

ـ اعتقد يا بوارو انك مخطىء في هذا الرأي .

ـ لا اعرف الان . ولكن هذا رأيي .

ـ آه .. سنرى !

- ١٣ -

وبعد أن تناولنا طعام الغداء في صمت .

قال بوارو بلهجة ماكرة :

- انك لم تخبرني بأمر الفتاة التي استدرجتك لتسمح لها بمشاهدة الجثة .

وقصصت عليه أمرها تفصيلاً ..

والتمعت عيناه وهو يقول :

- وما اسم هذه الفتاة الساحرة ؟

فاعترفت له بأني لم أعرف اسمها الحقيقي ، وان كل ما أعرفه ان اسمها سندريللا ..

وعاد يقول :

- ألا تنوي أن تراها مرة أخرى ؟

وفي تلك اللحظة وقعت عيناي على لافتة الفندق المواجهة لفندقنا وقد تألقت عليها حروف هذا الاسم « فندق دي فير » ، وتذكرت قولها لي « أرجو أن تأتي لزيارتي » .

وعندئذ قلت بلهجة تأكيد :

- لقد طلبت مني أن أزورها ، ولكني لن أفعل طبعاً .

- لماذا ؟

- لأني لا أريد ..

– لقد قالت لك أنها تنزل في فندق انجلترا ، اليس كذلك !
– لا .. بل في فندق دي فير
– أحقاً ؟ لقد نسيت !
وفجأة تذكرت اني لم أذكر له اسم الفنـــدق الذي تنزل به ، ولكنه عرف كيف يستدرجني للحصول على اسمه وفجـــأة نظر في ساعة جيبه وقال :
– إن القطار المتجه إلى باريس سيتحرك في الثانية والنصف بعد الظهر ، ويجب ان أنصرف الآن لألحق به .
فقلت مدهوشاً :
– أتنوي الذهاب إلى باريس اليوم !
– نعم ..
– للبحث عن قاتل المستر رينولد ؟
– نعم ..
– أتعتقد انه في باريس الآن ؟
– انا واثق انه ليس هناك ، ومع هذا فلا بد من البحث عنه في تلك المدينة إنك لا تفهم شيئـــاً الآن ، ولكني سأشرح لك الأمر في فرصة قريبة . المهم ان رحلتي إلى باريس ضرورية جـداً ، ولن أغيب طويلاً ، ومن المحتمل أن أعود غداً ، ولا داعي لذهابك معي ، ابق هنا وراقب جيرود جيداً . واقترح أيضاً أن توطد علاقتك بالانسة مارثا دوبريل ، الهة الجمال .
فقلت بسرعة :
– ذكرتني ؟ كيف عرفت بوجود علاقة حب بين جاك رينولد وهــذه الفتاة ..
– مجرد استنتاج .. إذ لا يعقل أن يقيم شاب وفتــاة في منطقة نائية

كهذه دون أن يلقي الحب بشباكه حولها .. ثم المشاجرة التي وقعت بين الابن وأبيه ، إن السبب لا بد أن يكون المال ، او الحب ، وقد استنتجت أن السبب هو الحب ، وصح استنتاجي .

وبعد برهة صمت أردف قائلاً :

— ثم لا تنسى عينيها المفعمتين بالخوف ، اني سأذكرها وإنما بذات العينين الخائفتين ..

— ماذا تعني ؟

— ستارى بعد وقت غير طويل ، والان يجب ان أمضي إلى المحطة ؟

— سوف اصحبك اليها ؟

— لا .. لا داعي لهذا ، إني أريد ان اذهب بمفردي .

وبعد انصراف بوارو ، تجولت قليلاً على الشاطيء وأنا أرجو أن أرى سندريللا بين السابحات ، ولما لم أجدها ، عدت أدراجي ، وتقدمت من بواب فندق دي فيرو وجمعت شجاعتي وقلت له بعد أن دسست في يده خمسة فرنكات :

— أتعرف فتاة انجليزية سوداء الشعر تنزل هنا . اني لست واثقاً من اسمها .

فهز البواب رأسه وقال :

— لا توجد هنا فتاة بهذه الصفات .

— ولكنها قالت لي انها تنزل بهذا الفندق ؟

— لا يا سيدي . وقد سبق ان سألني سيد آخر عنها .. منذ نصف ساعة .

— سيد أصلع الرأس غزير الشارب قصير القامة .

— تماماً يا سيدي .

وأدركت ان بوارو سأل عنها وهو في طريقه إلى المحطة ، وشعرت

بالامتعاض من تصرفه ، وكأنه لا يريد ان يصدقني .

ولكن . ماذا أرادت سندريللا بتضليلي ؟ أكانت تريد ان تقطع صلتها بي ، وتختفي من حياتي بهذه الطريقة المكشوفة .. اي بالامتناع عن ذكر اسمها الحقيقي لي ، او ذكر الاسم الحقيقي للفندق الذي نزلت به .

وظلت هذه الأفكار تراودني وانا اعود في طريقي إلى الفيللا . فلما وصلت إلى ملعب الجولف ، والمكان الذي وقعت فيه الجريمة ، جلست على المقعد الحجري القريب من كشك أدوات الحديقة ورحت اواصل التفكير في أمر هذه الفتاة الغامضة . سندريللا .

وافقت من تفكيري على صوت اثنين يتحدثان ورائي ، وادركت بعد لحظة ان الحديث آت من حديقة فيللا مرجريت حيث تقيم مدام دوبريل وابنتها ، ولم يكن يفصلني عن هذه الحديقة إلا خط من الشجيرات المتكاثفة الأراق والأغصان .

واقترب المتحدثان مني . وسمعت صوت الفتاة مارتا دوبريل وهي تقول بوضوح :

ـ أحقاً هذا ؟ هل انتهت كل متاعبنا ومشاكلنا ؟

وأدركت ان الذي كان معها هو جاك رينولد .. إذ سمعته يرد عليها قائلاً :

ـ انت تعلمين يا مارتا انه لا توجد قوة يمكن ان تفرق بيننا ، لقد زالت آخر عقبة في طريقنا .

ـ اوه .. جاك ، جاك ولكنني ما زلت خائفة .

ورأيت ان استراق السمع على هذين الحبيبين أمر لا يليق ، فنهضت لأبتعد بعد ان اختلست نظرة سريعة اليهما من وراء خط الشجيرات . وكانت الفتاة تبدو خائفة إلى حد كبير بينما كان جاك يهدئها قائلاً :

ـ من اي شيء خائفة يا مارتا ؟

ـ اني لست جائفة من شيء ، وإنما خائفة عليك .

ولم أسمع رد جاك عليها ، لأني كنت قد أسرعت مبتعداً عن المكان . وفيما أنا أسرع ، إذا بي ألمح جيرود منبطحاً على وجهه ينصت بامعان إلى حديث الحبيبين . ولما رآني ، وضع اصبعه على فمه يأمرني بالصمت ؟

ولما نفذت رغبته ، نهض من مكمنه ، ثم ابتعد معي عن المكان حيث قلت له :

ـ ماذا تفعل هنا ؟

ـ ما تفعله انت ، استرق السمع .

ـ ولكني لم أكن متعمداً .

ـ ولكني متعمد .

ثم اردف قائلا وهو يرمقني باحتقار :

ـ انك تفسد جهودي بتدخلك فيما لا يعنيك ، ولولا ظهورك المفاجيء الان لأمكنني ان اسمع المزيد ، اين صاحبك الاوي ؟

ـ ذهب إلى باريس .

ـ حسناً فعل ، وكلما أطال المكث هناك كان هـذا أفضل ، ولكن ماذا عساه يريد من باريس ؟

ـ هذا ما لا استطيع ان اصرح به .

فعاد ورمقني بنظرة ازدراء ثم قال وهو يستدير لينصرف :

ـ طاب يومك

وعدت إلى الفندق ، واويت إلى فراشي مبكراً وانا ارجو ان يأتي صباح اليوم التالي بجديد ، وفي بكور الصباح ، هبطت إلى قاعة الطعام وجلست اتناول افطاري ، وفجأة رأيت النادل يجي ع نحوي قائلا :

ـ انك يا سيدي من المهتمين بالجريمة التي وقعت في فيـلا جنفييف ، اليس كذلك ؟

ـ نعم ؛ لماذا تسأل ؟

ـ لقد وقعت جريمة ثانية امس مساء .

ـ ماذا ؟

ثم تركت طعامي والقيت بقبعتي على رأسي واندفعت مسرعاً في الطريق إلى الفيللا وانا اردد لنفسي كالمجنون :

ـ جريمة ثانية ؛ وبوارو بعيد عن مسرحها ؟ ترى من المجنى عليه هـذه المـرة ؟

ولما وصلت إلى مدخل الفيللا ؛ وجدت بعض الخدم متجمعين يثرثرون في عصبية واهتياج

وأمسكت بذراع فرانسواز وسألتها :

ـ ماذا حدث ؟

ـ اوه سيدي ؛ جريمة اخرى ؛ انه لأمر رهيب ؛ لقد حلت اللعنـة على الفيللا ؛ نعم انها لعنة سوداء ؛ اني لن ابيت فيها ليلة اخرى ؛ فمن يدريني ان الدور لن يقع علي ؟

فهتفت بها قائلا :

ـ ولكن من القتيل في هذه المرة ؟

ـ اني لا اعرف ؛ رجل غريب عن هذه الناحية ؛ لقد وجدوا جثته هناك في الكشك الخاص بأدوات الزراعة على مسافة قريبة من المكان الذي وجدت فيه جثة سيدي المسيو رينولد ؛ وقد وجدوا الجثة الثـانية مطعونة بنفس الخنجر ؟

- ١٤ -

وأسرعت إلى الكشك ..

فلم يمنعني الحارسان الواقفان بجواره من الدخول ، ووجدت جيرود منحنياً يفحص الأرضية ، وقد تناثرت في جانب من الكشك بعض الأدوات الزراعية والملابس القديمة .

ولما لمحني جيرود ، نظر الي في سخرية ثم قال موجهــاً ضوء مشعله الكهربائي إلى ركن قصي من الكشك :

– هذا هو المجنى عليه الثاني !

كانت الجثة على ظهرها ..

وكانت لرجل متوسط القامة ، ملوح البشرة ، في نحو الخمسين من العمر ، وكان مرتدياً بذلة زرقاء أنيقة غالية الثمن ولكنها لم تكن جديدة تمامــاً وكان على جانبه الأيسر ، فوق القلب ، مقبض الخنجر الذي غــار نصله في الصدر .

وكان نفس الخنجر الذي رأيته في الاناء الزجاجي بالكوخ الواقع وراء الفيللا في صباح اليوم السابق .

وقال جيرود :

– اني منتظر وصول الطبيب في أية لحظة وان كان الأمر لا يحتــاج اليه ، فإن الوفاة واضحة وقد مات فوراً بطعنة خنجر في القلب .

- متى حدث هذا ؟

- لا أدري على وجه التحديد ، ولكن حالة الجثة تدل على أن الوفاة حدثت منذ اثنتي عشرة ساعة على الأقل ، متى رأيت الخنجر آخر مرة ؟

- حوالي العاشرة من صباح أمس ؟

- أعتقد ان الجريمة وقعت بعد العاشرة بقليل من صباح الأمس .

- ولكن الناس كانوا يروحون ويجيئون طيلة اليوم أمام هذا الكشك .

فضحك جيرود وقال :

- انك تتقدم مسرعاً في شئون المباحث العامة ؟ أتعتقد إذن أن الجريمة وقعت في هذا الكشك ؟

- كنت .. كنت أظن هذا ؟

- يا لك من رجل مباحث رائع ؟ أتعتقد ان الرجل الذي يطعن بالخنجر في قلبه يقع على الأرض بهذا الشكل ، مستقيماً على ظهره وقدماه متجاورتان ، وذراعاه على جانبيه ممدودتان ؟ هذا غير معقول ، اليس كذلك ! وحتى إذا كان راقداً على هذا النحو أثناء حياته ، فإنه لا يسمح لأحد بأن يطعنه دون أن يحاول الدفاع عن نفسه .

ثم ألقى بالضوء على أرضية الكشك ، وسرعان ما بدت آثار جر الجثة بوضوح .

ومن ثم قال :

- لقد جرت الجثة إلى هذا المكان .. وكان يجرها ، كما يتضح من الآثار ، اثنان . إن آثار أقدامهما لا تبدو خارج الكشك لأن الأرض صلبة ، ولكنهما حرصا على إزاحة آثار أقدامهما داخل الكشك حتى لا يتعرف عليها أحد ، ولكن عملية إزالة الآثار على جانبي الجثة دلت على ان الجثة جرت داخل الكشك على أيدي اثنين ، لا واحد .. واكثر من هذا يمكنني أن اقول ان احد الاثنين امرأة !

ـ امرأة ..

ـ نعم ..

ـ ولكن كيف عرفت وقد أزالا آثار اقدامها .

ـ عرفت لهذا السبب .

ثم تناول شيئاً من مقبض الخنجر وقربه مني ، وإذا بي ارى شعرة سوداء طويلة ..

شعرة من رأس سيدة ولا شك ..

وعاد يقول مشيراً إلى حفرات صغيرة في الأرضية :

ـ ولهذا السبب ايضاً ، إنها حفرات صغيرة ناشئة من كعب حذاء حريمي ، لقد أزال المجرمان الآثار ، ولكنهما غفلا عن هذه الحفرات الصغيرة في الأرض المتربة .

وأعاد الشعرة إلى مكانها من مقبض الخنجر وأردف قائلا :

ـ ألم تلاحظ شيئاً آخر ..

ولم يسعني الا أن أهز رأسي في خجل .

وعندئذ قال :

ـ أنظر الى يديه .

ونظرت ، ووجدت أصابعه كبيرة خشنة واظافره صلبة ومتآكلة ، ومع هذا فلم أفهم شيئاً .

ونظرت الى جيرود متسائلا ، فقال :

ـ انها ليست اصابع سيد مترف ، انها اصابع رجل فقير ، رجل يكسب قوته بأظافره ، ومع ذلك فملابسه انيقة وفاخرة ، الا يثير هذا عجبك .

ـ نعم ، طبعاً

ـ وليس في ملابسه ما يدل على صانعها او المتجر الذي اشتريت

منه ، فما معنى هذا ؟ معناه أن هذا الرجل أراد أن يبـدو شخصاً آخر غير حقيقته ، أراد أن يخفي شخصيته ليعيش في شخصية أخرى ، فلماذا ؟ هل أراد أن يهرب من شيء أو من حكم ؟ هذا ما نريد أن نعرفه .

ثم أردف قائلاً وهو ينظر إلى الخنجر :

— ولم نجد للمرة الثانية أية آثار لبصمات الأصابع على الخنجر ، وهذا يعني أن القاتل كان يرتدي قفازاً .

— أتعتقد اذن أن القاتل واحد في الجريمتين ؟

— إن ما أعتقده لا يهم الآن .. مارشود .

وأقبل الشرطي مارشود ..

فقال له جيرود :

— لماذا لم تحضر مدام رينولد ، لقد أرسلت في طلبها منذ ربع ساعة .

— انها تقارب الآن .. وابنها معها .

— حسناً .. اني اريد أن يدخل كل منهما بمفرده .

ولما اقبلت المسز رينولد بعد لحظات ..

أشار جيرود إلى الجثة وقال :

— هذا هو المجني عليه يا سيدتي . أتعرفينه ؟

ونظرت المسز رينولد إلى وجه القتيل بهدوء تام وقالت :

— لا .. لا أعرفه .. لم أره في حياتي البتة .

— ألا يمكن أن يكون أحد اللذين اقتحما غرفة نومك في ليلة الحادث .

— لا .. لا أظن ، اني واثقة بأنه لم يكن أحدهما .

— حسناً يا سيدتي ، هذا كل ما أردت أن اتأكد منه ، شكراً .

وبعد خروجها من الكشك ، اقبل جاك رينولد ، واكـد انه لم ير ذلك الرجل المجني عليه من قبل .

وقال جيرود للشرطي مارشود :

– أحضر الشاهدة التالية

وكانت هذه الشاهدة هي مدام دوبريل ..

وقد أقبلت تهتف في احتجاج :

– اني أرفض هذه المعاملة . لما تستدعونني ؟ ما شأني أنا بهذا كله !

– انني يا سيدتي أتحرى عن جريمتين ، ومن يدريني انك لم ترتكبيها ؟

فصاحت المرأة قائلة في غضب شديد :

– كيف تجرؤ وتوجه إلي مثل هذا الاتهام الرهيب ، لسوف أشكوك إلى رؤسائك ، إننا نعيش أحراراً في وطن حر .

فتناول جيرود الشعرة السوداء الطويلة من مقبض الخنجر وقال :

– وما رأيك في هذه ؟ دعينا نرى مطابقتها على شعر رأسك !

فتراجعت في فزع وقد شحب وجهها وصاحت :

– هذا كذب ، هذا افتراء .. ان اي شخص يزعم انني ارتكبت هذه الجرائم كاذب ومدع .

ورد جيرود قائلا :

– هدئي من روعك يا سيدتي .. إننا لم نوجه الاتهام اليك بعد ، ولكن يمكنك أن تجيبي على بعض الأسئلة بدون هذا الاهتياج كله .

– اني تحت أمرك يا سيدي .

– انظري إلى هذا الرجل الميت .. هل سبق ان رأيته في هذه النواحي ؟

فنظرت المرأة إلى وجه القتيل وقد ازداد وجهها شحوباً .

ثم قالت :

– انني لم اره ، ولا أعرفه .

ــ حسناً ، يمكنك ان تنصرفي

وبعد انصرافها ، عاد جيرود يفحص جوانب الكشك والأرضية وهو يتحرك على يديه وركبتيه ، فاحصاً كل شبر في المكان ، وكل قطعة من ادوات الزراعة .

واهتم بصفة خاصة بمجموعة من الملابس القديمة كانت مكومة في ركن الكشك .

وكانت عبارة عن معطف بال وبنطلون قديم . .

وبدا عليه الاهتمام أيضاً وهو يفحص زوجاً من القفازات القديمة ، ولكنه لم يلبث ان القى بها جانباً .

ثم مضى إلى مجموعة من الأواني فقلبها رأساً على عقب آملا ان يجد فيها شيئاً .

واخيراً نهض واقفا حين رأى المسيو بكس يدخل مع الطبيب الشرعي والمحقق المسيو هوتيت وكاتب التحقيق .

وصاح المسيو هوتيت قائلا :

ــ إن هذا شيء يفوق التصور يا مسيو جيرود . جريمة ثانية قبل أن نكشف الغموض عن الجريمة الأولى ؟ ترى من هو الضحية في هذه المرة ؟

ــ هذا ما لم يعرفه احد حتى الآن .

ــ وأين الجثة .

وأشار جيرود اليها قائلا :

ــ ها هي ذي ، والطعنة في القلب ، بنفس الخنجر الذي سرق امس من كوخ الفيللا ، واعتقد ان القتل وقع بعد سرقة الخنجر مباشرة ، ويمكنك ان تفحص الخنجر بحرية ، فليس عليه اية آثار للبصمات .

وكان الطبيب قد انحنى يفحص الجثة .

وقال المفتش حيرود :

ـ إن الجريمـــة ازدادت غموضا ، ولكنني سأعرف كيف اضع يدي على القاتل او القتلة

وفي تلك اللحظة وقف الطبيب وقال للمفتش في دهشة .

ـ اتقول ان هذا الرجل قتل امس صباحا ؟

ـ لقد حددت هذا الوقت بنـــاء على وقت سرقة الخنجر ، ولكن من المحتمل ان يكون قتل في اي وقت امس ؛ صباحا او مساء ..

وهنا قال الطبيب بهدوء .

ـ ان هذا الرجل مات او قتل منذ ثمان واربعين ساعة ، وربما اكثر .

وتبادلنا جميعا نظرات الدهشة !

وتمتمت قائلا كأنما احدث نفسي :

- كيف يمكن ان تكون الوفاة قد تمت قبل ثمـــان وأربعين ساعة بينما الجريمة وقعت بخنجر سرق منذ اربع وعشرين ساعة !

وقبل ان يرد أحد ، اقبل احد الشرطة وسلم إليّ برقية من بوارو يقول فيها أنه سيصل إلى ميرلنفيل في قطار الثـــانية عشرة والنصف ظهراً ، ونظرت إلى ساعتي فوجدتها الثانية عشرة والربع ..

ومن ثم استأذنت في الانصراف .

وأسرعت إلى المحطـــة لأكون اول من يخبر بوارو بالتطورات الجديدة في الجريمـة .

ولما تأخر القطار عن موعده بضع دقائق ، شغلت وقتي بالحـديث مع رئيس الحمالين .

وكان رجلا تبدو عليه سمات الذكاء وقوة الملاحظة ، وسألته عن احتمال رؤيته لاثنين من الأجانب غادرا المدينة ليلة الحادث في قطار منتصف الليل ولكنه أكد لي انهما لو كانا قد فعلا هذا لرآهما ، وانه لا يعقل أن يركب أجنبيان قطار منتصف الليل دون ان يغفل عنهما ..

وفجأة وجهت اليه سؤالاً لم ادر في تلك اللحظة كيف خطر ببالي ..

- والمسيو جاك رينولد . هل غادر المدينة في تلك الليلة بقطـــار

منتصف الليل ؟

ولشد ما كانت مفاجأتي حين أجاب قائلاً :

– لا يا سيدي .. كيف يغادر المدينة بعد ان كان قد وصل اليها قبل نصف ساعة !

وفكرت في عبارته مدهوشاً ..

ثم قلت ببطء :

– أتعني ان الشاب جاك رينولد وصل إلى المدينة في تلك الليلة !

– نعم .. وصل اليها في آخر قطار يصل اليها ، أعني في قطار الساعة الحادية عشرة والنصف مساء

ودارت الأرض بي ، وأدركت سر الخوف المطل من عيني الحسناء مارتا دوبريـل .

إذن فقد كان جاك رينولد موجوداً بالمدينة عند وقوع الجريمة ، فلماذا لم يقل هذا ؟

بل لماذا جعلنا نعتقد بأنه كان في ميناء شيربورج وقت وقوع الجريمة ؟ ولا شك ان مارتا كانت تعرف هـذه الحقيقة .. كانت تعرف انه كذب علينا ، ولذلك استبد بها الخوف ، ولذلك أرادت أن تعرف منا ما إذا كان الاشتباه قد تركز حول شخص معين أم لا ..

وقطع حديثي مع رئيس الحمالين وصول القطار الذي يقل بوارو من باريس ، وما كاد يراني حتى عانقني مبتهجاً وهو يقول :

– لقد نجحت في مهمتي في باريس يا عزيزي هاستنج .

– أحقاً ؟ اني سعيد بهذا ، ولكن هل سمعت آخر الأنباء ؟

– أية أنباء ؟ هل قبض جيرود على القاتل ؟

– لا .. ولكن يجب الذهـاب فوراً إلى الفيللا . لقد وقعت جريمة ثانية .

وفوجىء بوارو بهذا النبأ .

وتمتم كأنه لا يصدق ما سمع :

– ماذا تقول ؟ جريمة ثانية ؟ إذن فأنا مخطىء ، إذن فقد فشلت في مهمتي بباريس ! لا شك ان جيرود سيسخر مني .

– ألم تكن تتوقع هذا .

– أنا .. لا طبعاً ، إن هذا النبأ هدم نظريتي من أساسها ، ولكن هذا مستحيل .. مستحيل .. مستحيل أن اكون مخطئاً إلى هذا الحد !

وقبل ان اقول شيئاً ، اردف هو قائلا :

– انتظر يا صديقي .. لا تقل شيئا .. ان وقوع هذه الجريمة مستحيل إلا إذا ..

وصمت برهة مفكراً .

ثم قال بهدوء وثقة :

– إن هذا القتيل في الجريمة الثـــانية لا بد ان يكون رجلا متوسط الطول ، في حوالي الخمسين من العمر ، وقد وجدت جثته في الكشك القريب من مكان الجريمة الأولى ، وقد مضى على الوفاة اكثر من ثمـــان وأربعين ساعة ، وطعن بخنجر ، وليس من الضروري ان تكون الطعنة في الظهر .

وجاء دوري لأفتح فمي في دهشة بالغة وكأني لا اصدق ما سمعت ، ثم خطر ببالي فجأة ان بوارو عرف – على نحو ما – بأمر هذه الجريمة الثانية ، وإلا لما ذكر هذه التفاصيل بكل هذه الدقة .

ومن ثم هتفت قائلا :

– بوارو ، إنك تسخر مني ولا شك !

– اؤكد لك اني لم اسمع بهذه الجريمة الثانية إلا منك ، ألم تر وقــع الخبر علي !

– ولكن كيف عرفت كل هذه الحقائق عنها !

- لأني على صواب في استنتاجي ، لأني لم اخطيء في النظرية التي تصورت بها وقوع الجريمة . الأولى والثانية . والآن اذا نحن انعطفنا يساراً ، فسنصل الى ملعب الجولف ومنه الى فيللا جنيفييف في أسرع وقت .

وحدثت بوارو بما عرفت من امر الجريمة الثانية اثناء سيرنا واخيراً قال :

- كان الخنجر موجوداً في الجثة ، اليس كذلك ، هذا عجيب ! أهو نفس الخنجر الذي ارتكبت به الجريمة الأولى !

- نعم ، انه هو نفسه وهذا ما يجعل الأمر مستحيلا !

- لا شيء مستحيل يا عزيزي ، ربما كان هناك خنجران من طراز واحد .

فرفعت حاجبي وقلت بدهشة :

- هذا احتمال بعيد الوقوع الى حد كبير .

- لماذا ان هذا الخنجر صنع من حطام طائرة بناء على رغبة جاك رينولد ليقدمه هدية ، واذا كان في امكانه ان يأمر بصنع خنجر واحد ، الم يكن في امكانه ايضا ان يأمر بصنع خنجر ثان ليحتفظ به لنفسه !

- ولكن لم يذكر احد احتمال وجود خنجرين من هذا النوع !

- الانسان في مثل هذه الحالات لا يعتمد فقط على ما « يقال » ، فهناك اشياء لا تذكر اثناء التحقيق لاهميتها ، او لأن احداً لم يسأل عنها ، وهناك اشياء تذكر عمداً لأهميتها ايضا حتى دون ان يسأل احد عنها ، وهذا كله يتوقف على الحوافز التي تسيطر على نفسية الشاهد او المتهم .

ووصلنا الى الكشك .

وكان الجميع لا يزالون بداخله

وبادلهم بوارو التحية ، ثم القى نظرات فاحصة على جوانبه وامسك بالملابس القديمة وفحصها بنظرات سريعة وهو يقول :

ــ ملابس قديمة للبستاني

وقال جيرود بهزء :

ــ نعم ، طبعا

وركع بوارو بجوار الجثة وراح يفحصها بدقة ملاحظا خشونة الأصابع وتشقق الأظافر

ثم نهض وقال للطبيب :

ــ هل لاحظت وجود آثار زبد حول الفم يا دكتور ؟

ــ لا .. اعترف اني لم ألاحظ هذا .

ــ إذن افحص جوانب الفم مرة أخرى .

وقال الطبيب وهو يومىء برأسه بعد أن قام بفحص جوانب الفم :

ــ نعم . إن آثار زبد لا تزال حول الفم !

وتنـــــاول بوارو الخنجر الذي كان قد انتزع من الجثة ووضع في إناء زجاجي بجوارها :

وفجأة قال وقد برقت عيناه :

ــ انه لجرح عجيب هذا ، ألاحظت يا دكتور انه لم ينزف دماً ؟ لا توجد آثار دماء على الملابس حول الجرح ، ولا يوجد على نصل الخنجر إلا آثار دماء بسيطة جداً كأنها ماء اصفر اللون .

وقال الطبيب :

ــ اني اعترف بأن هذا شيء يثير العجب !

ــ لا .. مطلقاً ، انه لأمر بسيط ، لقد طعن الرجل بعد وفاته ، أليس كذلك يا مسيو جيرود ؟

وأومأ جيرود برأسه وقال :

- نعم .. انني اتفق معك في هذا يا مسيو بوارو .
وهتف المحقق المسيو هوتيت قائلاً :
- ولكن لماذا ؟ لماذا يطعن رجل بالخنجر بعد وفاته ؟
- لتحقيق هدف معين .
وقال المسيو بكس :
- إذن كيف مات الرجل ؟
- مات ميتة طبيعية ، مات في نوبة صرع .
وعاذ الدكتور ديورانت إلى فحص الجثة بامعان .
ثم نهض قائلاً :
- اني اتفق معك في هـذا الرأي يا مسيو بوارو ، اني آسف إذ ظننت خطأ أنه مات بطعنة الخنجر ..

وأصبح بوارو بطل الموقف ، وراح الجميع يقدمون له التهنئة على براعته وقوة ملاحظته

وشكرهم بوارو جميعاً ، ثم استأذن ليعود إلى الفندق ويتنـاول طعام الغداء .

وقبل ان نخرج ، قال جيرود مشيراً إلى الشعرة الطويلة التي وجدت حول مقبض الخنجر .
- ما رأيك في هذه الشعرة يا مسيو بوارو !
فهز بوارو كتفيه وقال :
- مزيد من التضليل يا مسيو جيرود !
ولما وصلنا إلى الفندق وطلبنا الغداء ، قلت :
- ألا تحدثني عن مهمتك في باريس ؟
- بكل تأكيد يا عزيزي .
ثم أخرج من جيبه قصاصة باهتة من احدى الصحف القديمـة جداً

وقدمها الي قائلا :

– أتعلم من هي صاحبة هذه الصورة المنشورة في هذه القصاصة ؟

فأومأت برأسي وقلت :

– رغم أن الصورة التقطت منذ سنوات طويلة ، إلا أن الشبه واضح ، انها صورة مدام دوبريل .

فابتسم بوارو وهز رأسه وهو يقول :

– أصبت واخطأت في وقت واحد ..

– كيف !

– انها صورة مدام دوبريل حقاً ، ولكن مدام دوبريل عندما نشرت لها هذه الصورة في الصحف لم يكن اسمها مدام دوبريل .

– ماذا كان اسمها عندئذ !

– كان اسمها مدام بيرولدي التي اثارت محاكمتها ضجة كبرى في ذلك الوقت .

وتذكرت فوراً قضية مدام بيرولدي التي اثارت ضجة في صحف باريس وصحافة العالم كله .

قبل عشرين سنة من وقوع هذه الجريمة التي نحن بصددهـا ، وصل إلى باريس المسيو ارنولد بيرولدي مع زوجته الحسناء وابنته الطفلة .

وكان المسيو بيرولدي شريكاً أصغر في شركة لصناعة الخمور ، وكان رجلا في منتصف العمر قوي الجسم ، يحب أطايب الحيــاة ، ويقدس زوجته الجميلة .

ولما كانت الشركة لا تدر إلا أرباحاً بسيطة ، فقد عاش الزوجان في مسكن متوسط عيشة متوسطة

وبقدر ما كان المسيو بيرولدي بسيطاً عادياً ، كانت زوجتـه الحسناء مغرورة بجمالها وشبابها ، مشغوفة بالأبهة والترفـ ، مولعة بالمظاهر والتفافـ الرجال حولها .

ولما كان الغموض يحيط بمولدها ، فقد أشاعت انها الابنة غير الشرعية لأمير روسي مات في الثورة البلشفية .

وأيا كانت حقيقة مولدها ، فقد ظلت جيــان بيرولدي موضع الحب والافتتان من جميع الرجال والشبان الذين يتعرفون بها .

وكان بين أصدقاء الزوجين محام شاب هو جورج كرنو .

وسرعان ما ربط الحب القوي بينه وبين الزوجة الشابة الحسناء جيان – او مدام بيرولدي - وسرعان ما بدأت الأقوال تنتشر همساً عن هـذه

العلاقة وعن علاقات أخرى بين مدام بيرولدي وبين رجال آخرين .

وبعد ثلاثة أشهر من بدء هذه العلاقة ، ظهر في حياة الزوجين وافد امريكي يدعى هيرام تراب ، قيل انه من أصحاب الملايين .

وما كاد يتعرف على مدام بيرولدي حتى سقط اسير جمالها ، وحتى وضح للجميع انه يحبها بقدر ما يحترمها .

وفي خلال هذه الفترة أخذت مدام بيرولدي تسر الى أصدقائها وصديقاتها بمخاوفها من اجل زوجها ، لأنه انزلق في بعض الشئون السياسية الدولية ، وانضم الى إحدى الجمعيات الخطيرة ، ورغم أن هذا كله كان في مرحلة شبابه ، الا أن هذه الجمعية كانت قد عهدت اليه « بسر » خطير ، وان هذا « السر » لا يزال يهدد حياته .

وفي الثامن والعشرين من شهر نوفمبر ، وقع ما كانت تخشاه الزوجة الشابة مدام بيرولدي ، ذلك ان الخادمة التي اعتادت ان تذهب كل صباح الى مسكن مدام ومسيو بيرولدي للعمل فيه ، فوجئت في صباح ذلك اليوم بباب المسكن مفتوحا على مصراعيه ، وبسماع انين خافت صادر من غرفة النوم ، فلما دخلتها فوجئت بمنظر رهيب منظر مدام بيرولدي وهي مقيدة اليدين والقدمين ومكممة الفم .

أما المسيو بيرولدى فقد كان ملقى على السرير مقتولاً بطعنة خنجر في القلب ، والدماء تلوث ملابسه والفراش .

وكانت اقوال مدام بيرولدي في التحقيق واضحة وبسيطة :

لقد استيقظت في سكون الليل لترى امامها شخصين مقنعين ملتحيين يأمرانها بالتزام الصمت ، ثم يطالبان زوجها بذلك « السر » الذي سبق ان حدثت اصدقاءها عنه ..

ورفض الزوج ان يطيع اوامرهما !

وانتهى الأمر الى تقييد الزوجة وتكميمها ، ثم قتل الزوج بطعنة خنجر

في القلب ، ثم سرقة المفاتيح من جيبه وفتح خزانة المسكن والاستيلاء على مجموعة من الأوراق .

وشهدت الزوجة بأنها لم تستطع أن تتعرف على المجرمين ولكنها أكدت أنهما روسيان .

وأثار الحادث ضجة كبرى ، فلم يستطع رجال المباحث العثور على الشخصين المقنعين الملتحيين .

وبدأت الضجة تتلاشى من أذهان الناس عندما حدث تطور جديد أدى إلى القبض على مدام بيرولدي واتهامها بقتل زوجها .

وأثارت المحاكمة اهتماماً كبيراً في جميع الأوساط .

وقد ضاعف من اهتمام العالم بها جمال الزوجة وشبابها والغموض المحيط بمولدها !

وثبت خلال المحاكمة ، ثبوتاً قاطعاً ، بأن والدي جيان بيرولدي من تجار الفاكهة في مدينة ليون ، وإن الاشاعة حول غموض مولدها ، وحكاية « السر » والجمعيات السرية والرجال المقنعين والملتحين ليس إلا من بنات خيال المتهمة الحسناء ، كما شهد المليونير الأميركي – تحت وطأة الاستجوابات – بأن مدام بيرولدي بادلته الحب وقررت التخلص من زوجها الفقير لتصبح زوجة له ، وتتمتع بثرائه العريض .

ورغم هذا كله ، فقد أصرت مدام بيرولدي على موقفها طيلة المحاكمة متشبثة بأقوالها الأولى ، مؤكدة أنها من أصل روسي عريق ، وان الجريمة وقعت بأيدي رجلين مقنعين ملتحيين !

أما تاجر الفاكهة الذي زعم أنه أبوها ، فهو في الواقع الرجل الذي عهد اليه أبوها الأمير بتربيتها !

ولكن المدعي العام استطاع ، رغم هذا كله ، أن يثبت التهمة على مدام بيرولدي وشريكها المحامي الشاب جورج كونو .

وكان هذا الأخير قد استطاع أن يهرب ويختفي قبل أن يصدر الأمر بالقبض عليه .

وقد دلت التحقيقـــات على أن القيود التي وجدت في يدي مدام بيرولدي لينة مفككة بحيث كان من الممكن أن تتخلص منها بسهولة .

وعند اقتراب نهاية المحاكمة ، وصل خطاب مرسل من باريس إلى المدعي العام ، وكان مرسله هو المتهم الهارب جورج كونو ، وقد سجل فيـــه اعترافاً كاملاً بالجريمة .

فقال : انه هو الذي دبر خطة الجريمة مع مدام بيرولدي ، وكان يعتقد أن المسيو بيرولدي يقسو في معاملته لزوجته الحسناء .

وقد دفعه حبه الشديد للزوجة – هذا الحب الذي ظنه متبادلاً – إلى تدبير خطة للقضاء على الزوج القاسي ، ثم الزواج من حبيبته .

ولكنه فوجىء بعد ارتكاب الجريمة ، بأن الزوجة الحسناء خدعتـــه ودفعته إلى الاشتراك معها في قتل الزوج ، للتخلص منه ومن الزوج في وقت واحد والزواج من المليونير الأمريكي هيرام تراب .

واختتم جورج كونو اعترافاته قائلاً :

انه كان مخلب القط في هذه الجريمة ، وانه لم يرتكبها إلا تحت تأثير الزوجة القاتلة !

وأمام هذه الاعترافات ، انهارت مدام بيرولدي واعترفت بدورهـــا قائلة :

ان جورج كونو هو الذي ارتكب الجريمة بمفرده مدفوعاً بحبه الشديد لها وبغيرته القاتلة من زوجها .

وبعد ان ارتكب الجريمة طلب منها أن تلتزم الصمت ، وإلا قتلها هي ايضاً ؟ فلم يسعها إلا أن تلتزم الصمت وتخضع لأوامره خوفـــاً على حياتها .

واستطاعت المرأة الحسناء ان تؤثر على المحلفين بشبابها ودموعها قائلة :
انها حقاً اخطأت في اقامة علاقة مع شخص غير زوجها ، ولكن خطأها لم يتجاوز هذا الحد .

وصدق المحلفون اقوالها ، واصدروا قرارهم ببراءتها وادانة المتهم الهارب جورج كونو .

ولكن رجال الشرطة ، رغم ما بذلوه من محاولات مضنية ، عجزوا تماماً عن الاهتداء اليه والقبض عليه .

ولم تلبث مدام بيرولدي أن اختفت عن باريس ، لتعيش مع ابنتها الوحيدة في مكان آخر تحت اسم آخر !

- ١٧ -

وبعد أن فرغت من قراءة قضية بيرولدي ، او على الأصح مدام دوبريل كما أسمت نفسها في مدينة ميرلنفيل .

قلت لبوارو :

– لقد فهمت الآن كل شيء يا بوارو !

– وماذا فهمت يا عزيزي ؟

– فهمت أن مدام دوبريل هي التي قتلت المستر رينولد ، لأن الجريمتين متشابهتان تماماً في كل شيء .

– أتعتقد إذن ان مدام بيرولدي ، أعني مـــدام دوبريل هي التي ارتكبت الجريمة الأولى ، وإنها نالت حكم البراءة خطأ !

– طبعاً ، ألا ترى أنت هذا ؟

وهز بوارو كتفيه وقال :

– إن مدام دوبريل لم ترتكب الجريمة الأولى فعلاً ، أعني أنها لم تطعن زوجها بالخنجر

فقلت بلهجة تأكيد :

– ولكنها هي التي ارتكبت بنفسها الجريمة الثانية .

– ولماذا تؤكد هذه الحقيقة !

- لماذا ؟ لماذا ؟

ولم أستطع أن أتم العبارة ..

حقاً لماذا أكدت أن مدام دوبريل هي القاتلة في الجريمة الثانية ؟ ما هي الأدلة على صحة هذا الرأي ! ما هو الحافز على ارتكابها مثل هـذه الجريـمة ؟

لا بد أن يكون هناك حافز ، لأن الجرائم لا ترتكب اطلاقاً بدون حوافز إلا إذا كان المجرم مجنوناً ..

والحافز هنا عكسي ، أي ان مدام دوبريل كانت تستفيد مالياً من بقاء المستر رينولد على قيد الحياة ، فلـماذا تقتل الاوزة التي تبيض لها الذهب ؟

ولم يسعني إلا أن أقول في النهاية :

– أيا كان الأمر فليس المال هو الحافز الوحيد لارتكاب الجرائم .

– نعم .. هناك الحافز العاطفي أيضاً ، وحافز الانتقام ، فضلاً عن الجرائم التي ترتكب بسبب الانحرافات العقلية والاجتماعية ، ولكن هذا النوع من الجرائم لا ينطبق على جريمتنا هذه

– هل يمكن ان تكون مدام دوبريل قد ارتكبت جريمتها في ساعة غضب أو اثارة عاطفية ! أو بسبب الغيرة ، أو خوفاً من ان تكون عاطفة رينولد نحوها قد هدأت !

– ربما .. ولكن كيف تفسر حفر القبر ، إن عملية الحفر ·ل على أن هناك رجلاً مشتركاً في الجريمة ..

– ربما كان لها شريك ساعدها على ارتكابها .

فهز بوارو رأسه وقال :

– لنترك هذا الآن ولنتحدث عن نقطة أخرى هامة ، لقد قلت ان هناك تشابهاً في الجريمتين ، ولهذا اتهمت مدام دوبريل بارتكاب الجريمة الثانية ، فما هو هذا التشابه

فقلت مدهوشاً :

ـ إن التشابه واضح كثيراً ، واضح في الحديث عن الرجلين المقنعين الملتحيين و « السر » هي مدام رينولد ، وليست مدام دوبريل !

وفكرت برهة ..

ثم قلت :

ـ قد تكون مدام رينولد شريكة لمدام دوبريل في هذا الموضوع !

فهز بوارو رأسه وقال :

ـ هذا احتمال بعيد جداً ، وليس هناك ما يدل عليه أو يبرره ، ولكننا على كل حال نقترب كثيراً من الحقيقة .

ـ ماذا تعني ؟ هل عرفت شيئاً !

ـ نعم .. يا عزيزي هاستنج .. عرفت لماذا أرسل المسيو رينولد يستدعيني .

ـ وهل عرفت الجناة ؟

ـ عرفت واحداً منهم على الأقل .

ـ من هو ؟

ـ لا أستطيع ان اذكره الآن ، ولكن يكفي القول اني عرفت سر الجريمة الأولى ، أما الجريمة الثانية ، أعني مسألة اكتشاف الجثة الثانية فلا تزال محاطة ببعض الغموض .

ـ ولكنك قلت يا بوارو ان الشخص الذي وجدت جثته في كشك الأدوات الزراعية مات ميتة طبيعية .

فابتسم بوارو وقال :

ـ إن الانسان قد يجد جريمة بدون مجرم ، ولكن إذا كان هناك جريمتان فلا بد من وجود جثتين !

ـ ما معنى هذا ؟

ولكن بوارو ارسل نظرة عبر النافذة ..
ثم قال :
– ها هو ذا !
– من ؟
– جاك رينولد ، لقد أرسلت اليه أدعوه لمقابلتي هنا .
وعندئذ تذكرت حديثي مع رئيس الحمالين ، فقلت لأفــاجىء بوارو بهذه المعلومات الجديدة :
– هل تعلم بأن جاك رينولد كان في ميرلنفيل عند وقوع الجريمة ، أي لم يكن في شيربورج كما زعم !
ولشد ما كانت دهشتي حين ابتسم بوارو وقال :
– نعم .. عرفت هذا من نفس المصدر ، من رئيس الحمالين في المحطة ، ولا شك ان صاحبنا جيرود قد عرف هذه الحقيقة أيضاً .
-- اتظن إنه ، انه هو ، اعني جاك ؟ لا هذا مستحيل !
وعندئذ أقبل جاك وتبادل معنا التحية !
وقال له بوارو :
– لقد طلبت مقابلتك هنا يا مسيو رينولد لأن الفيللا ليست بالمكان الملائم لمثل هذه المقابلة ، لا سيما وان الأمور بيني وبــين المفتش جيرود ليست كما ينبغي ، ولهذا فأنا لا أريد ان أقدم له بعض الحقائق التي اهتديت اليها .
فقال جاك بلهجة مهذبة :
– هذا من حقك طبعاً يا مسيو بوارو .
– إذن هل أستطيع ان اطلب منك خدمة بسيطة ؟
– اني تحت أمرك .
– إني أرجوك أن تركب القطــــار إلى بلدة آبالاك وتسأل في قسم

الودائع بالمحطة عن حقيبة تركها رجلان أجنبيان في ليلة وقوع الجريمة وأعتقد أن ناظر المحطة سيذكر أمر هذه الحقيبة ، فهل تفعل هذا من أجلي ؟

– طبعاً .. طبعاً يا مسيو بوارو !

– وأرجو أن تذهب من هنا إلى المحطة فوراً ، أعني أرجوك ألا تذهب إلى الفيللا الآن حتى لا يعرف جيرود أمر هذه المهمة .

ونهض الشاب واقفاً وقال :

– سأذهب إلى المحطة مباشرة .

– حسناً . وهناك سؤال أخير يا مسيو جاك ، لماذا لم تخبر المسيو هوتيت المحقق بأنك كنت هنا – في ميرلنفيل – ليلة الحادث ؟

فاحمر وجه الشاب وقال متلعثماً :

– لقد كنت في ذلك الوقت بميناء شيربورج يا سيدي !

فضاقت عينا بوارو حتى صارتا كعيني قط .

ثم قال :

– إن عمال المحطة شهدوا بأنك وصلت إلى ميرلنفيل ليلة الحادث في قطار الساعة الحادية عشرة والنصف .

وتردد جاك برهة ثم قال :

– وماذا لو اني فعلت ؟ هل يعني هذا انني قتلت أبي ؟

– انني أريد فقط تفسيراً لهذا التصرف !

– انه تفسير بسيط ، لقد عدت لأرى حبيبتي مارتا دوبريل بعد أن علمت اني سأغيب في سفر طويل ، وقد أردت ان اؤكد لها حبي واخلاصي وبقائي على العهد مهما طالت مدة سفري .

– وهل رأيتها ؟

– نعم .

– وبعد ذلك ؟

– عندما عدت إلى المحطة وجدت القطار قد تحرك منهـا فسرت على قدمي إلى بلدة سانت بوفيز حيث طلبت من صاحب كراج ان يحملني في سيارة مأجورة إلى شيربورج .

– بلدة سانت بوفيز ، انها تقع على مسافة خمسة عشر كيلومتراً ؟ هـل سرت على قدميك كل هذه المسافة ؟

– نعم .

فأومأ بوارو برأسه .

ولما انصرف الشاب ، وثب بوارو وقال لي :

– هلم يا هاستنج ، يجب أن تسرع لنمضي وراءه .

وسرنا وراءه على مسافة بعيدة ، ولمـــا رأى بوارو أن الشاب سار في طريق المحطة قال :

– حسناً .. لقد نجحت في خداعه ، انه لن يجد أية حقيبة في محطـة آبالاك .

– هل أردت فقط أن تبعده عن هذا المكان مدة معينة .

– تماماً ، يا لك من ذكي يا هاستنج ، والآن هلم إلى الفيللا .

- ١٨ -

ولما اقتربنا من الفيللا ، انحرف بوارو إلى الكشك الذي عثر فيه على الجثة الثانية ، ولكنه لم يدخله ، وإنما توقف عند المقعد الحجري القريب منه وبعد لحظات من التفكير تقدم إلى خط الشجيرات الفاصل بين حديقة فيللا جنيفييف وحديقة فيللا مرجريت .

وبعد لحظات أخرى من التفكير ، ازاح بعض أغصان الشجيرات جانباً وقال :

ـ من حسن الحظ اني ارى الآنسة مارثا دوبريل في حديقة فيلتها ؛ اني أريد التحدث معها على انفراد بدلاً من الذهاب اليها عن طريق باب فيلتها .

وهمس يناديها ، وأقبلت الفتاة تجري نحوه .

وقال لها :

ـ هل تسمحين بالحديث معك يا آنسة ؟

ـ طبعاً .. طبعاً

ـ وكان الخوف لا يزال مطلاً من عينيها وهي تسمع بوارو يقول :

ـ هل تذكرين يا آنسة يوم جريت ورائي لتسأليني عما إذا كنا نشتبه في احد ام لا ؟

ـ نعم ، وقد قلت لي ان الاشتباه يدور حول اثنين من اميركا الجنوبية .

ـ حسناً ، هل يمكن أن توجهي إلي ذلك السؤال مرة أخرى

ـ ماذا تعني يا سيدي

ـ لو انك سألتني لقلت لك ان الاشتباه يدور حول شخص آخر غير الاثنين اللذين قيل انهما أتيا من اميركا الجنوبية .

فتمتمت بصوت خافت :

ـ من ..

ـ جاك رينولد

وصاحت الفتاة بفزع شديد :

ـ لا .. هذا مستحيل ، هذا مستحيل من الذي يشتبه فيه ؟

ـ المفتش جيرود .

ـ جيرود ؟ إن هذا الرجل شديد القسوة ، لشد مـا أشعر بالخوف ولكن ، ولكن !

وارتسمت في ملامح وجهها إمارات التصميم والارادة .

وخطر لي أن الفتاة رغم مخاوفها تتمتع بروح نضالية لا تقهر ، وقال لها بوارو :

ـ أنت تعرفين طبعاً أنه كان هنا ليلة وقوع الجريمة .

ـ نعم ، لقد أخبرني بذلك .

ـ لم يكن من الحكمة في شيء أن يخفي هذه الحقيقة عن المحققين .

ـ نعم .. نعم ، ولكننا لا نستطيع الآن أن نضيع الوقت في الندم ، لا بد أن نعمل على انقاذه ، إنه بريء بلا شك ، ولكن جيرود رجل له مكانته وشهرته ، ولا بد أن يقبض على أحد ، ولهذا قرر أن يقبض على جاك .

فقال بوارو :

ـ إن الأدلة ضده ، فهل تعرفين هذا .

فقالت بجرأة :

ـ انني لست طفلة يا مسيو بوارو ، إني أعرف أنه بريء ، وأياً كانت الأدلة ضده ، فلا بد من تفنيدها .

وأرسل بوارو اليها نظرة ثاقبة ، ثم قال :

ـ آنستي ، اليس هناك شيء تخفيه عنا .

فأومأت برأسها في ارتباك .

ثم قالت :

ـ نعم هناك شيء ، ولكني لا أدري هل تصدقه أم لا !

ـ اخبرينا به على كل حال :

ـ لقد استدعاني المسيو جيرود لأتعرف على الجثة الثانية في الكشك وقلت له حين رأيتها ، إني لا أعرف صاحبها ، ولكني الآن تذكرت إني رأيت ذلك المجني عليه وهو على قيد الحياة !

ـ أين .. ومتى

ـ كنت أسير في هذه الحديقة في صباح اليوم الذي قتل في مسائـــه المسيو رينولد ، اي ان المسيو رينولد كان حياً في ذلك الصباح ، وسمعت صوت مشاجرة ، فأزحت بعض أغصان هذه الشجيرات ونظرت ، ورأيت بالقرب من الكشك المسيو رينولد يتشاجر بصوت مرتفع مع رجـــل صعلوك رث الملابس ، وكان الصعلوك يتوسل حيناً ويهدد حيناً آخر ، وقد فهمت أنه يطالب المسيو رينولد ببعض المـــال ، وفي تلك اللحظة استدعتني أمي ، فأسرعت اليها ، وانا الآن واثقة بأن ذلك الصعلوك الرث الملابس هو نفس القتيل الذي عثر على جثته في ذلك الكشك .

وقال بوارو بهدوء :

ـ ولماذا لم تقولي هذا يا آنسة !

ـ لأني لم أتعرف عليه في أول الأمر ، فقد كانت الملابس التي على

الجثة أنيقة وفاخرة ، إلا انني تذكرت ملامح الوجه فيا بعد .

وسمعنا صوت الأم تنادي ابنتها .

فاستدارت مارتا وهي تقول :

ـ هذه أمي ، يجب ان أسرع اليها .

وبعد انصرافها ، قال بوارو وهو يمسك بذراعي :

ـ هلم إلى الفيللا الآن .

ـ ما رأيك فيا قـــالته الفتاة ! اهي صادقة ام ارادت أن تحول الشبهات عن حبيبها جاك .

ـ إنها صادقة تماماً ، ولكنها كذبت جاك مرة اخرى ، اتذكر حين سألته هل رأى مارتا في ليلة الحادث ، فتردد ثم قـــال انه رآها ، لقد شككت في اقواله ، ولهذا جئت لأسألها ، وقد ايدت كلماتها ظنوني حين سألتها هل كانت تعلم ان جاك في البلدة ليلة وقوع الحادث ، فقالت : « نعم .. اخبرني بذلك » ، معنى هذا انه لم يرها في تلك الليلة ، وإنمـــا اخبرها فقط بأنه كان موجوداً ، والآن ، إذا لم يكن قد عاد لرؤية حبيبته كما زعم ، فلماذا عاد ؟

فهتفت مأخوذاً :

ـ اتريد ان تقول انه عاد ليقتل اباه !

فقال بوارو :

ـ لا تكن عاطفياً يا عزيزي .. لقد رأينا امهات يقتلن ابناءهن للحصول على مبالغ التأمين .. ولهذا فلا يمكن ان تستنكر شيئاً مهما يكن .

ـ ولكن ما هو الحافز

ـ المال طبعاً ، لا تنس ان جاك كان يعتقد حتى اللحظة الأخيرة انه سيرث نصف ثروة ابيه .

ـ وذلك الصعلوك ، ما دوره في الجريمة ، لماذا قتل .

فهز بوارو كتفيه وقال :

ـ سيقول جيرود انه ساعد جاك على ارتكاب الجريمة ثم قتله بعد ذلك ليضمن سكوته .

ـ والشعرة ، الشعرة النسائية التي وجدت حول مقبض الخنجر

ـ لن يعترف جيرود بأنها من رأس امرأة ، لأن بعض الشبان يطيلون شعورهم إلى حد كبير ، ولهذا سيقول انها ليست بالضرورة شعرة نسائية .

ـ وهل تعتقد انت بهذا

ـ لا .. إنها شعرة نسائية حقاً . بل واعرف صاحبة هذه الشعرة ايضاً

ـ أهي مدام دوبريل

ـ ربما .. من يدري

وتمالكت اعصابي

وقلت ونحن ندخل إلى صالة الفيللا :

ـ وماذا تنوي ان تفعل الآن

ـ اريد ان افتش حاجيات جاك رينولد ، وهذا ما دعاني إلى ابعاده لمدة ساعة او اكثر .

وراح بوارو يفتش غرفة جاك بسرعة ودقة وبراعة ..

فتح الأدراج وفتش الملابس والياقات والمناديل والجوارب والمنامات وكل شيء .

وفجأة قلت لبوارو محذراً حين رأيت سيارة تقف امام باب الفيللا :

ـ بوارو ، إن سيارة وقفت امام الباب وهبط منها جيرود وجاك واثنان من رجال الشرطة

وصاح بوارو في لهجة انتصار وهو يدس شيئاً يشبه الصورة الفوتوغرافية

في جيبه :

- لقد عثرت على ما أريد اخيراً ..

وهبطنا إلى الصالة حيث لقينا جيرود ينظر إلى أسيره جاك مفكراً وقال له بوارو :

- طاب يومك يا مسيو جيرود ، ماذا حدث ؟

وأومأ جيرود إلى جاك برأسه وقال :

- كان يحاول الهرب ، ولكنني كنت أراقبه ، إني أقبض عليه الآن بتهمة قتل والده المسيو بول رينولد .

والتفت بوارو إلى جاك الذي كان معتمداً بكتفه على الباب وقد شحب وجهه :

- ما رأيك في هذا ؟

وتمتم جاك قائلاً :

- لا شيء !

- ١٩ -

وقفت مدهوشاً لا أكاد اصدق سمعي .

ذلك انه لم يخطر ببالي لحظة أن جاك رينولد هو المجرم ، ولكني حين أخذت أراقبه وهو واقف متخاذل شاحب الوجه ، لم يعد لدي شك في إدانته

ولكنني فوجئت ببوارو يستدير إلى المفتش جيرود ويقول له :

– على أي أساس تتهم هذا الشاب ؟

– اتتوقع أن اخبرك بما لدي من ادلة ؟

– نعم . على سبيل المجاملة !

وتردد المفتش برهة ..

ثم قال في تحد :

– هل تعتقد انني أخطأت في القبض عليه ؟

– ربما ..

– حسناً ، تعال وسأخبرك لتحكم بنفسك .

ثم فتح باب غرفة الصالون ودخل تاركاً الشاب في حراسة الشرطيين .

وبعد أن جلسنا قال بلهجة ساخرة :

– والآن يا مسيو بوارو ، لسوف القي عليك محاضرة عن فن البحث الجنائي الحديث .

وأومأ بوارو برأسه باسماً .

بينما استطرد المفتش قائلاً :

– لقد تبين لي بعد الوهلة الأولى ان مسألة الأجنبيين الوافدين من شيلي ما هي إلا نوع من التضليل .

والأمر الثاني ان حفر القبر يحتاج إلى مجهود رجل ، ولكنني لا أجد شخصاً يمكن ان يستفيد من مقتـــل المسيو بول رينولد ، على انه يوجد شخص واحد فقط كان يظن انه سيستفيد من وفاة المسيو رينولد وهو المسيو جاك . وقد سمعنا عن المشاجرة التي وقعت بين الابن والوالد وعن التهديدات التي بعثها الابن ، وعن قوله لوالده انه يتمنى ان يراه ميتاً ، وقد ثبت ان الابن كان في ميرلنفيل في ليلة وقوع الحادث ولكنه اخفى هذه الحقيقة ، وهذا الاخفاء قد حول الشك في إدانته إلى يقين .

ثم عثرنا على ضحية أخرى مطعونة في القلب بنفس الخنجر ، ونحن نعلم متى سرق ذلك الخنجر ، وإن الكابتن هاستنج هنا يستطيع أن يحدد وقت سرقة الخنجر ، وانه هو الوحيد الذي كان في مقدوره بعد عودته من شيربورج ، ان يدخل الكوخ ويسرق الخنجر دون أن يشك فيه احد .

فقاطعه بوارو فقال :

– ولكن هناك شخص آخر يمكن ان يكون السارق الخنجر !

– تعني المسيو ستونر سكرتير المسيو رينولد ؟ لا .. لقد وصل إلى مدخل الفيللا مباشرة في السيارة المـــأجورة التي حملته من ميناء كاليه ، صدقني .. لقد تحريت عن كل شيء .

لقد وصل جاك بالقطار ، ومضت ساعة كاملة بين وصوله بالقطار وبين ظهوره بيننا في هذا الصالون ، ولا شك أنه رأى الكابتن هاستنج وهو يغادر الكوخ مع تلك الآنسة تاركاً المفتاح في الباب ، فتسلل إلى

الكوخ وسرق الخنجر وقتل به شريكه في الجريمـــة واخفى جثته في الكشك .

– الرجل الذي كان قد مات ميتة طبيعية قبل طعنة الخنجر .

فهز المفتش كتفيه وقال .

– ربما لم يكن يعرف إنه كان ميتاً ، ربما كان الرجل مختفياً في الكشك ومات فيه ، ولكن جاك دخل وطعنه بالخنجر وخرج مسرعاً ، والواضح انه كان واثقاً بأن هذه الجريمة الثانية سوف تعقد الأمور وتزيد من تضليل العدالة

– ولكنه نسي أنه لا يستطيع تضليل المسيو جيرود .

– إنك تسخر مني يا مسيو بوارو ، ولكني سأقدم اليك دليلا لا ينقض إن مدام رينولد كذبت في حديثها عن الجريمة ، اننا نعرف أنهـا كانت تحب زوجها ، ولكنها كذبت لتتستر على القاتل ، فعلى من تتستر المرأة في جريمة كهذه ؟ تتستر على نفسها ، واحياناً على حبيبها ، ولكنها دائماً على اولادها ، وهذا هو الدليل القوي الذي لا ينقض .

واردف المفتش بلهجة انتصار :

– هذه هي ادلتي يا مسيو بوارو .. فما رأيك ؟

– ولكنك نسيت شيئاً واحداً .

– ما هو ؟

– كان جاك رينولد يعلم إن ملعب الجولف لم يتم بعد ، فلماذا يحفر قبراً لأبيه في ملعب قد يؤدي استكماله إلى الكشف عن الجثة ؟ خاصة وإن ملاعب الجولف يحفر فيها عدد من الحفرات الخاصة باللعبة !

فضحك المفتش وقال :

– لقد تعمد هذا حتى يعثر العمال على الجثة آجلا او عاجلا ، لأنه ما كان ليستطيع ان يرث نصيبه من التركة إلا بعد ثبوت وفاة والده

بصفة قاطعة .

فبرقت عينا بوارو وقال وهو ينهض :

– إذن لماذا يدفنه على الاطلاق ، فكر يا حضرة المفتش ، إذا كان جاك قد اراد ان نكشف الجثة حتى يرث نصيبه من التركة ، فلماذا يحفر لها قبراً !

فهز المفتش كتفيه وتبعنا إلى الصالة .

وقال بوارو وهو يلتفت اليه هامساً :

– والماسورة الرصاص ، ما رأيك عنها !

وفوجئنا في تلك اللحظة بالسيدة رينولد وهي تهبط السلم بسرعة وتهتف قائلة حين رأت ابنها مقبوضاً عليه :

– جاك .. ما معنى هذا ؟

– لقد قبضوا علي يا اماه ..

واطلقت الأم صيحة عالية ، ثم سقطت على الأرض بعد ان اصطدم رأسها بحاجز السلم .

واسرعنا جميعاً اليها .

فقال بوارو بعد ان فحصها بسرعة :

– هناك احتمال في إصابتها بارتجاج في المخ ، وإذ كان حضرة المفتش يريد استجوابها فعليه ان ينتظر اسبوعاً على الأقل .

وبعد ان تركنا السيدة بين يدي فرانسواز ودينيس ، خرجت مع بوارو الذي سار صامتاً يفكر مقطب الجبين .

واخيراً تجرأت وسألته :

– اترى ان جاك ليس مذنباً رغم كل ما قاله المفتش ؟

وبعد برهة طويلة من الصمت رد :

– إني لا ادري يا هاستنج ، فهناك احتمال ضئيل في ان يكون جاك

هو المجرم فإذا ثبت ذلك ، فلن يكون بناء على ادلة جيرود ، وإنما على الرغم من كل الأدلة ، فالمفتش مخطىء تماماً في كل ادلته ، فأشد ادلته خطأ معروف لي .

ـ ما هو ..

ـ إذا حاولت أن تحرك ذهنك ، فستعرف ما أعني .

وسرنا نحو البحر ، وهناك جلسنا على مقعد حجري ، وشرعت احرك ذهني لأعرف هذا الدليل الأكثر خطأ بين ادلة مفتش ، وفجأة قلت وقد ومضت الفكرة في ذهني :

ـ لقد غفل مفتش عن شيء مهم كثيراً ..

ـ ما هو ..

ـ ذلك المتهم الهارب في قضية مدام بيرولدي ، واعني به جورج كونو ..

- ٢٠ -

وعانقني بوارو في اعجاب شديد وهو يقول :

ـ أحسنت يا صديقي هاستنج ، لقد استطعت أن تصل إلى أول الخيط بمفردك ، وعليك الآن أن تستمر في استنتاجاتك ، إنك على حق ، لقد أخطأنا جميعاً لأننا نسينا ذلك المجرم الهارب جورج كونو .

وسرني اعجاب بوارو بقدرتي على التفكير والاستنتاج .

ومن ثم استطردت أقول :

ـ نعم .. رغم مرور عشرين عاماً على فرار جورج كونو ، فليس هناك أي دليل على أنه مات خلال هذه المدة .

ـ أي إن في مقدورنا أن نفترض وجوده على قيد الحياة .

ـ تماماً ..

ـ أو على الأقل انه كان موجوداً حتى الأيام الأخيرة السا قة .

ـ تماماً يا هاستنج ، أحسنت .

وعدت أقول بحماس شديد :

ـ ولنفرض أنه كان يمر بأيام سوداء من الفقر والضياع وسوء الحال ، فأصبح مجرماً ، أو أفاقاً ، او صعلوكاً ، وحدث ان أقبل إلى ميرلنفيل مصادفة فرأى مدام دوبريل ، أي المرأة التي احبها ولم يكف عن حبهـــا طيلة تلك المدة .

ـ آه .. العاطفة مرة اخرى ، كن على حذر يا هاستنج .

ـ إن الانسان الذي يحب ، لا ينسى حبه حتى لو ظن انه كره الحبيب في لحظة يأس ، وايا كان الأمر فقد عثر على المرأة التي يحبها تعيش في هذه المدينة تحت اسم مستعار ، ولكنه فوجيء بأنها صارت عشيقة المليونير ، هو بول رينولد وتذكر جورج كونو آلامه وحياته الضائعة بسبب حبه لهذه المرأة ، فتشاجر مع رينولد ، ثم .. ثم كمن له وانتظره حتى رآه يمضي متسللا لمقابلة حبيبته ، وطعنه بالخنجر في ظهره .

ولما فرغ مما جنت يداه ، بدأ يحفر قبراً ليخفي الجثة ، وإني أتصور ان مدام دوبريل خرجت لتبحث عن حبيبها وتعلم سر تأخره عن الحضور فاصطدمت بجورج كونو وحدثت بينهما مشاجرة عنيفة استطاع خلالها ان يجرها إلى كشك الأدوات الزراعية ، وهناك سقط في نوبة صرع .

والآن لنفرض ان جاك رينولد ظهر في تلك اللحظات فأخبرته مدام دوبريل بما حدث وبينت له الفضيحة التي يمكن ان تصيب ابنتها لو إن ماضي الأم عرف للجميع ، وعلى هذا يجب اخفاء كل شيء .

ومن ثم نزل الشاب عند رغبتها ، فذهب وأخبر امه بالأمر واستطاع ان يقنعها للعمل معه ومع مدام دوبريل ، وهكذا نفذ الجزء الثاني من الخطة ، الجزء الذي ذكرته مدام دوبريل ، بشأن تكميم فمها وشد وثاقها .

وتراجعت في مقعدي مزهواً باستنتاجاتي وقلت لبوارو :

ـ ما رأيك في هذا كله

فقال بوارو بهدوء :

ـ اعتقد إنك تنجح في الكتابة للسينما يا عزيزي هاستنج .

ـ أتعني ؟

ـ أعني أن قصتك هذه تصلح فيلماً سينمائياً ممتازاً لأنها أبعد ما تكون عن الحياة العادية المألوفة .

ـ إني لم اذكر التفاصيل حقاً ، ولكن ..

ـ ولكن ماذا ؟ ماذا مثلاً عن استبدال الملابس ، هل تعني مثلاً ان كونو بعد ان قتل رينولد ، استبدل معه ملابسه ثم أعاد وضع الخنجر بالجرح.

ـ هذه مسألة غير هامة ، ربما استطاع ان يحصل على ملابس فاخرة وبعض المال من مدام دوبريل قبل ارتكابه الجريمة

ـ وكيف استطاع ان يحصل منها على المال والملابس .

ـ بالتهديد ، بأن يكشف امرها للمسيو رينولد وبذلك يضيع كل امل لها في زواج ابنتها من ابنه .

ـ إنك مخطيء في هذا يا هاستنج لأنه كان في مقدورها ان تبلغ الشرطة عنه ، لا تنس ان كونو كان مطلوباً للمحاكمة بتهمة القتل ، وكانت كلمة واحدة منها تكفي لاعدامه .

فهززت كتفي وقلت :

ـ إذن فأنت تستطيع بنظريتك أن تسد كل هذه الثغرات .

ـ إن نظريتي هي الحقيقة ، والحقيقة لا بد أن تصيب ، هل تحب ان تعرف نظريتي .

ـ بكل تأكيد ..

ـ سوف أبدأ من حيث بدأت انت ، اي من اول ظهور كونو على مسرح الأحداث بعد عشرين سنة من اختفائه ، لقد ثبت ان [illegible]سة التي ذكرتها مدام بيرولدي ، أي مدام دوبريل ، في المحكمة عن الروسيين الغامضين كاذبة ومخترعة ، وكان الذي دبر هذه القصة واحكمها هو كونو كما اعترفت بذلك مدام دوبريل في المحكمة بعد ظهور الحقيقة ، والآن .. هلم نتتبع جريمة قتل المسيو رينولد خطوة خطوة ..

الديك مفكرة وقلماً .. حسناً ، لنبدأ بالرسالة التي تلقيتها منه ، وبعد ذلك بالتغييرات التي ظهرت على حالة السيد رينولد النفسية في الأيام السابقة

على الجريمة ، وقد شهد بهذه التغيرات عدد كبير من الشهود ، والخطوة الثالثة هي ما قيل عن صداقته لمدام دوبريل والمبالغ الكبيرة التي ظفرت بها منه ، ومن هذه الخطوات أو الحقائق الثابتة نستطيع أن نتبدم مباشرة إلى احداث الثالث والعشرين من شهر مايو .

ـ حسناً ..

ـ في ذلك اليوم تشاجر بول رينولد مع ابنه بسبب رغبة الابن في الزواج من مارثا وسافر الابن إلى باريس ، وفي يوم ٢٤ مايو غير بول رينولد وصيته وترك ثروته كلها لزوجته .

وفي ٧ يونية تشاجر بول رينولد مع صعلوك أفاق دخل حديقة الفيللا وشاهدت مارثا دوبريل المشاجرة من حديقة فيللتها .

وأرسل بول رينولد خطاباً إلى بوارو يطلب منه الحضور لحمايته من خطر وشيك ، وارسل بول رينولد برقية إلى ابنه في باريس طالباً منه الابحار على الباخرة انزورا إلى بيونس ايرس .

وأرسل بول رينولد سائق سيارته ، ماسترز في إجازة طويلة .

وزارته في تلك الليلة ، أي مساء يوم ٧ يونية ، سيدة .

وقد سمعته الخادمة ليونيه وهو يودعها إلى الباب الخارجي قائلاً : « نعم ، نعم .. ولكن أرجوك بحق الله أن تنصرفي الآن » .

وتوقف بوارو برهة قبل أن يستطرد قائلاً :

ـ هذه يا هاستنج هي الحقائق التي بين أيدينا ، ذكرتها لك بالترتيب ، فلم يبق إلا الخطاب الغرامي الذي وجد في جيب معطفه .

ـ نعم ، نعم . ماذا عن ذلك الخطاب ؟

ـ لقد اعتبرنا هذا الخطاب موجهاً اليه ، لأننا عثرنا عليه في جيب معطفه ، فهل تذكر يا هاستنج إني قست المعطف الذي كان معلقاً في الصالة عقب وصول جاك رينولد من شيربورج مسرعاً ؟

– نعم ..

– أتذكر أيضاً ان المعطف الذي كان على جسد القتيل السيو بول كان أطول مما ينبغي ؟

– نعم .. كان هذا واضحاً تماماً !

– وقد لفت نظري ان المعطف الذي كان يرتديه رينولد – الابن – كان أقصر مما ينبغي ، فما معنى هذا يا هاستنج ؟ أتذكر أن شهادة الشهود اثبتت ان رينولد الابن خرج من مكتب أبيه بعد المشاجرة وانطلق مسرعاً ليلحق بالقطار الذاهب إلى باريس ؟

فقلت وقد فهمت :

– تعني انه اختطف من المشجب الموضوع فى الصالة معطفاً فانطلق به ، وكان هذا المعطف هو معطف أبيه ، تاركاً معطفه بدلاً منه !

– تماماً يا هاستنج . وعلى هذا يمكن القول أن الوالد ارتدى معطف ابنه وهو لا يدري عند خروجه من الفيللا في تلك الليلة ، وعلى هذا يمكن القول أن الرسالة التي وجدت في ذلك المعطف ، معطف الابن ، لم تكن خاصة بالوالد ، وإنما بالابن . أي ان المدعوة بيللا هي حبيبة سابقة لجاك وليست للوالد بول رينولد .

– عظيم .. وبعد ذلك ؟

– لنعد إلى يوم الحادث .. لقد أرسل إلى بول رينولد الخطاب في نفس الوقت الذي أبرق فيه لابنه للابحار إلى بيونس إيرس في نفس الوقت الذي منح فيه إجازة لسائق سيارته ماستر ، وقد اتخذ بول رينولد هذه الخطوات كلها بعد مشاجرته العنيفة مع الصعلوك الأفاق الذي قلنا نحن انه جورج كونو

– لماذا ؟

– لأنه أدرك بعد المشاجرة ، على فرض أن الصعلوك هو جورج كونو كما ذكرنا – إن هناك خطراً يتهدد حياته وان عليه ان يعمل بسرعة للنجاة من

ذلك الخطر ؟ ولذلك بدأ يعد الخطة اللازمة ، فأرسل الخطاب اليّ ، وارسل البرقية إلى ابنه ليبعده عن المكان ، ومنح ماستر ـ سائق سيارته ـ إجازة خشية ان يكون جاسوسا عليه ، وقبل ان نستطرد نحاول ان نعرف من هي السيدة التي زارته في مساء يوم الحادث ..

ـ إنها مدام دوبريل كما قالت الخادمة فرانسواز .

فهز بوارو رأسه وقال :

ـ لا يا عزيزي ، لا تنس قصاصة الشيك المكتوب عليها « دوفين » ، وقد ذكر المسيو ستونر ، سكرتير رينولد ، إن اسم بيللا دوفين ليس غريبا عليه ، وعلى هذا يمكننا القول ان كاتبة الرسالة الغرامية لجاك هي بيللا دوفين ، وقد اقبلت إلى فيللا جنيفييف في تلك الليلة ، إما لرؤية جاك ومعرفة سبب انقطاعه عن مراسلتها ، او للتحدث مع ابيه لكي يتوسط لها عند ابنه ، ويمكننا القول ، في هذه الحالة الأخيرة ، ان الوالد حاول استرضاءها بتقديم شيك لها ، ولكنها مزقته قائلة انها لم تحضر في طلب المال ، وفي النهاية صحبها الى الباب وهو يقول لها « نعم ، نعم .. ولكن انصرفي الآن بحق الله » ، ومعنى هذه العبارة انه كان يريد التخلص منها لأنه كان حريصا على الوقت اللازم لتنفيذ خطته في تلك الليلة .

ـ وما هي هذه الخطة ؟

ـ سوف اذكرها لك بالترتيب ، لقد غـــادرت بيللا الفيللا في حوالي العاشرة والنصف بناء على اقوال الخدم ، والساعة المكسورة تدل على ان تنفيذ خطة الجريمة بدأ في الثانية عشرة ، وليس في الثـــانية بعد منتصف الليل كما اراد واضع الخطة ان يوهمنا ، ثم هناك بعد ذلك شهادة الطبيب التي اثبتت ان مقتل الصعلوك الافاق كان قد تم قبل ثمان واربعين ساعة من العثور على الجثة ، اي قبل يوم ٧ يونية باثنتي عشرة ساعة ، او على وجه التقريب بكور الصباح من يوم ٧ يونية نفسه .

فنظرت إلى بوارو مدهوشاً فقلت :

– ولكن كيف أمكنك تحديد ذلك الوقت ولماذا ؟

– لأن ذلك هو الترتيب المنطقي للأحداث .

– وما هو الترتيب المنطقي للأحداث يا عزيزي ؟

– لنبدأ بالحقيقة الأولى ، وهي التغييرات النفسية التي طرأت على بول رينولد قبل الأحداث ببضعة أسابيع ، ويرجع سر هذا التغيير إلى لقائه بمدام دوبريل . والحقيقة الثانية ، وهي مشاجرته مع ابنه بسبب رغبة الابن للزواج من مارتا دوبريل .. وهذا أيضاً يعود إلى وجود مدام دوبريل وابنتها في هذا المكان ..

والحقيقة الثالثة ، أي ارساله الخطاب إلي في صباح يوم ٧ يونية ، ونحن لا نعرف السبب الحقيقي ، ولكن علينا أن نستنتجه ، والآن .. من هو في رأيك يا هاستنج الذي دبر أمر هذه الجريمة ؟

– إنه كونو ..

– لنفترض أنه هو . والآن ، لقد قال المفتش أن المرأة تتستر في الجريمة على ثلاثة أشخاص ، على نفسها ، أو على حبيبها ، أو على ابنها ، وما دمنا نعتقد أن كونو هو الذي وضع خطـــة الجريمة الأولى ، أعني جريمة بيرولدي – وما دمنا نعرف ان كونو ليس جاك رينولد ، فمعنى هذا أن مدام رينولد لم تتستر على نفسها ، ولم تتستر على ابنها ، وإنما تسترت على حبيبها الذي هو كونو مدبر الجريمة الثانية على نمط الجريمة الأولى ، فهل توافقني على هذا

– نعم ..

– حسناً .. من هو إذن كونو ؟

– الصعلوك الأفاق .

– الدينا أي دليل على أن مدام رينولد كانت تحب هذا الصعلوك

الأفاق ؟

ـ لا ، ولكن ..

ـ لا داعي للبحث عن نظريات لا تقوم على الحقائق ، اسأل نفلك أولاً من هو الشخص الذي تحبه مدام رينولد ؟ الشخص الذي سقطت مغشياً عليها من فرط الحزن عندما رأت جثته !

ـ أتعني زوجها ؟

ـ نعم زوجها .. أو بمعنى آخر جورج كونو ..

فهتفت قائلاً :

ـ ولكن هذا مستحيل ؟ أتعني أن جورج كونو وبول رينولد همـــا شخص واحد ؟

ـ وما وجه الاستحالة ؟ ألم نعرف أن مدام دوبريل ، أم مارتا دوبريل كانت تبتز أموال بول رينولد ؟ أو جورج كونو !

ـ نعم ..

ـ لماذا كانت تبتزه . فهل عرفت حقيقته .

ـ هذا معقول ..

ـ ولا تنس أننا لا نعرف شيئاً عن طفوج وشباب رينولد ، لقد ظهر فجأة في أميركا الجنوبية منذ اثنين وعشرين سنة زاعماً أنه من أصل كندي فرنسي ..

ـ نعم ، نعم يا بوارو . ولكن يبدو لي أنك غفلت عن نقطة هامة .

ـ ما هي يا هاستنج !

ـ إذا اعتقدنا ان كونو هو الذي دبر أمر هذه الجريمة ، فمعنى هذا أنه دبر أمر جريمة قتل نفسه !

ـ هذا ما كان يهدف اليه فعلاً !

- ٢١ -

وراح بوارو يفسر لي أقواله :

ـ قد يبدو الأمر عجيباً يا عزيزي أن يدبر الانسان الجريمة لقتل نفسه ولكن العجب يتلاشى إذا عرفنا أنه لم يكن ينوي أن يموت حقاً ، وإنما يبدو فقط أمام العالم أنه مات .

ولما هززت رأسي في شك ، قال :

ـ كان تدبير أمر الجريمة لا يعني أن ترتكب جريمة فعلاً وإنما كان المطلوب الحصول على جثة تبدو أمام العالم ، إنها جثة رينولد ، الذي هو كونو ، ذلك ان كونو كان هارباً من العدالة في كندا .

وهناك تحت اسم مستعار تزوج ثم رحل إلى اميركا الجنوبية حيث جمع ثروة طائلة ..

ولكن حنينه إلى وطنه دفعه إلى العودة اليه ، بعد انقضاء عشرين عاماً ، مطمئناً إلى التغيير الكبير الذي طرأ على شكله .

وبعد ان استقر في انجلترا قرر ان يمضي مواسم الصيف في فرنسا ، ولكن عدالة السماء التي لا تغفل ، دفعت به لقضاء موسم هذا الصيف في مصيف ميرلنفيل الذي اقامت فيه مدام دوبريل ، او مدام بيرولدي ، وكان طبيعياً ان تكتشف مدام دوبريل امره من اول نظرة

وادركت ، بعد ان عرفت ثراءه الطائل ، انها عثرت على منجم ذهب

يمكنها استغلاله إلى اقصى حد

ولم يسع رينولد إلا ان يستسلم لها خشية افتضاح أمره ، وراح يقدم اليها كل ما تطلب من اموال .

وصمت بوارو برهة ..

ثم استطرد قائلا :

ـ ثم تدخلت الأقدار . فأحب جاك رينولد الفتـــاة الحسناء مارتا دوبريل ، وقرر الزواج منهـــا ؛ وثار ابوه طبعاً حين سمع هذا القرار من ابنه ..

وقرر الوالد بدوره بكل حزم الا يسمح باتمام ذلك الزواج .

ولم يكن الابن يعرف شيئاً عن ماضي ابيه ، ولكن مدام رينولد كانت تعرف كل شيء عن زوجها .

وهي سيدة ذات إرادة حديدية ، وشديدة الحب لزوجها ، ومن ثم اخذ الاثنان يتبادلان الرأي في امر جاك ـ ابنهما ـ ورغبته في الزواج من ابنة مدام دوبريل .

وانتهيا إلى قرار ، وهو ان نجاة رينولد من براثن تلك المرأة لن يتم إلا إذا بدا امام العالم ميتاً ..

يجب ان يبدو ميتا ، ثم يهرب إلى قاره اخرى ليبدأ حياته مرة اخرى من جديد تحت اسم آخر ..

وكان على مدام رينولد ، بعد ان تقوم بدور الأرملة الحزينة بضعة اسابيع ، ان تلحق بزوجها في موطنه الجديد .

وتحقيقا لهذا الهدف ، كان من الضروري ان تئول كلا ثروة رينولد إلى زوجته بعد موته ، المزيف . ولهذا غير وصيته تاركا كل ثروته لها .

وانا لا اعرف كيف كانا سيحصلان في اول الأمر على جثة تبدو امـــام الناس انها جثة بول رينولد .

ربما كانا سيحصلان على هيكل عظمي من ذلك النوع الذي يحصل عليه طلبة الطب ..

وكانا يعتمدان على ان يزيلا معالم الجثة او الهيكل بالنار او بتآكلها تحت الأرض حتى لا يعرف احد حقيقتها ، وانما يظن الجميع انها بقايا جثة بول رينولد المختفي .

ولكن الأقدار ساقت اليهما ذلك الصعلوك الأفاق الذي دخل حديقة رينولد فتشاجر رينولد معه واراد ان يطرده ، ولكن الصعلوك كان يعاني من نوبات صرع ، فسقط أثناء المشاجرة وقضى نحبه ، فاستدعى رينولد زوجته فجر الاثنان الجثة الى كشك الأدوات الزراعية ، فأدركا ان الحظ قد ساق اليهما الجثة المطلوبة ، لاسيما وقد كان ذلك الصعلوك الأفاق يشبه رينولد في الطول والعرض والسن ، والطابع الفرنسي .

ومرة ثانية صمت بوارو قبل ان يستطرد قائلاً :

ـ فأنا أتخيل انهما جلسا على المقعد الحجري القريب من الكشك وراحا يتبادلان الحديث فيما يجب ان يفعلا بعد ذلك ، ووضعا الخطة بسرعة ، فاتفقا على ان تكون السيدة رينولد هي الوحيدة التي تتعرف على « جثة » الزوج ، ولهذا قررا أن يبعدا عن المكان جاك رينولد ، وسائق السيارة السيد ماستر ، ولم يكن هناك احتمال في أن تقترب إحدى الخادمات من « الجثة »

وهكذا ارسل رينولد برقية لارسال جاك الى بيونس ايرس ، ومنح السائق اجازة طويلة ، وأرسل اليّ الخطاب الذي يطلب فيه حمايتي له ، وكان يأمل أن يكون لهذا الخطاب أثره على مجرى التحقيق ، وهذا مـا حدث فعلاً .

وبعد أن وضعا الجثة في ملابس فاخرة من ملابس رينولد ، القيا بملابس الصعلوك بجوار باب الكشك من الداخل ، وهي الملابس التي ظنها جيرود أنها خاصة بالبستاني ، ثم طعن رينولد الجثة عند القلب بالخنجر حتى يظن

الجميع ان هناك جريمة قتل .

ثم قرر رينولد في تلك الليلة أن يقيد يدي وقدمي زوجته - بقيد قوي شديد هذه المرة - ويضع في فمها كامة ، ثم يمضي ويحفر قبراً في أرض ملعب الجولف ، حيث كان يعتقد إن إتمام الملعب سيكشف عن الجثة بعد أن تكون قد تآكلت وزالت معالم الوجه .

وكان من الضروري في رأيه ، أن تنكشف الجثة حتى تتأكد مدام دوبريل أن « جورج كونو - أو بول رينولد » مات حقاً .

وبعد ذلك كان على رينولد أن يرتدي ملابس الصعلوك الرثة ويمضي الى المحطة ويستقل منها القطار إلى باريس ، ومنهـا إلى المكان الذي تقرر أن يختفي فيه ويبدأ منه مرحلة جديده من حياته .

وكان المفروض - حسب الخطة - أن يستقل قطار الساعة الثانية عشرة ولهذا حطم الساعة بعد أن قدمها ساعتين لكي يوهم المحققين أن الجريمة وقعت بعد قيام القطار بساعتين .

وذلك حتى يبعد أية شبهة حول ذلك « الصعلوك » الغريب الذي غادر المصيف في قطار الساعة الثانية عشر .

وبعد أن تم كل شيء ولم يبق إلا تنفيذ المرحلة الأخيرة من الخطة ، فوجيء رينولد بزيارة الفتاة بيللا دوفين ، وكان يرى أن كل دقيقة قد تؤدي الى افساد الخطة كلها .

وهكذا تخلص من الفتاة على نحو ما ثم مضي الى تنفيذ خطته ، لقد ترك الباب الخارجي مفتوحاً ليوهم المحققين بأن المجرمين دخلوا أو خرجوا منه ثم قيد وكمم زوجته مدام رينولد ، وقد حرص على التشديد في القيد حتى يتلافى الخطأ في الجريمة السابقة .

وأكد عليها أن تذكر للمحققين القصة الخيالية السابقة ، أي قصة « السر » والرجلين الغامضين المقنعين .

وهذا هو الخطأ الذي يرتكبه المجرمون عندما يكررون الخطط الناجحة في جرائمهم ، وكانت الليلة باردة ، فارتدى المعطف فوق ملابسه المنزلية هادفاً إلى تركه مع الجثة في القبر حتى يزيد في إيهام المحققين بأن الجثة هي جثته ، ثم مضى إلى حافة ملعب الجولف وراح يحفر ، ثم ..

– ثم ماذا ؟

– ثم امتدت اليه يد العدالة التي طال فراره منها ، امتدت اليه يد من الخلف بطعنة خنجر . والآن . لعلك فهمت يا هاستنج ما أعنيه حين تحدثت عن جريمتين : الجريمة الأولى التي كتب الينا بشأن حمايته منها المسيو رينولد قد حلت ، ولكن تقع وراءها مشكلة معقدة .

وحل هذه المشكلة يحتاج إلى مجهود ضخم ، ذلك أن المجرم الحقيقي عرف ، بذكائه الحاد ، كيف يستغل خطة رينولد لمصلحته ، وهذا جعل من العسير حل هذه المشكلة الغامضة

فقلت .

– إنك مدهش يا بوارو ، مدهش .. ما كان في مقدور أحد اطلاقاً أن ينفذ إلى كل هذه الأسرار الغامضة .

وأشرق وجه بوارو سروراً ثم قال :

– إن للمسكين جيرود العذر إذا هو عجز عن كشف غوامض هذه الجريمة ، لأن عمليات التضليل فيها كثيرة ، ولا سيما تلك الشعرة السوداء التي وجدت حول مقبض الخنجر !

فقلت ببطء :

– الحقيقة يا بوارو إني لا أعرف بعد لمن كانت هذه الشعرة !

– إنها شعرة من رأس مدام رينولد ، إن معظم شعرها أبيض ، ولكن شعرها كما رأيت بنفسك لا يخلو من شعرات سوداء طويلة . أما جيرود ، فهو لا يزال يؤمن في قرارة نفسه ، واثباتاً لنظريته ، أن

هذه الشعرة من رأس جاك رينولد ، ولكن مدام رينولد ، حين تفيق من غيبوبتها ، سوف تذكر لنا الحقيقة كاملة ، لأنها لن تقف ساكنة وهي ترى سيف الاتهام معلقاً على رأس ابنها ، إنها لم تكن تتصور قط أن لابنها أية علاقة بالجريمة .

كانت واثقة بأنه كان بعيداً عن شيربورج عند وقوع الجريمة ، ولذا قالت له عندما رأته يعود فجأة بعد وقوع الجريمة : « آه . ولكن هذا لا يهم الآن ! » ولم يلاحظ أحد دلالة هذه الكلمات .

لقد عانت هذه السيدة صدمة رهيبة عندما ذهبت معنا لتتعرف على الجثة في الكوخ الواقع وراء الفيللا ..

كانت حتى ذلك الوقت متأكدة تماماً بأنها سترى جثة الصعلوك الأفاق حسب الخطة التي وضعها زوجها ، ولكن لشد ما كانت الصدمة عليها حين رأت أمامها جثة زوجها نفسه ، فلا عجب إن سقطت مغشياً عليها ، ولكنها قررت ، رغم حزنها ويأسها ، أن تلعب دورها حتى النهـــاية اكراماً لابنها .

كانت مصرة كل الاصرار ألا يعرف الابن ان أباه هو جورج كونو الهارب من العدالة .

ولهذا السبب اعترفت أمام الجميع ، تلميحاً طبعاً ، ان مدام دوبريل عشيقة لزوجها ، لأنها لو قالت غير هذا لأثارت التساؤل عن أسباب حصول مدام دوبريل على كل هذه الأموال من زوجها ..

وصمت بوارو فجأة ..

وقلت له :

— وما شأن ماسورة الرصاص التي وجدت بجوار حفرة القبر يا بوارو .

— ألا ترى ؟ لقد وضعت هناك لكي يشوه بها رينولد وجه جثة الرجل الصعلوك الأفـــاق حتى يختلط امرها على المحققين ، وكان وجود هذه

الماسورة اول الخيط الذي دلني على الاتجاه الذي ينبغي ان اسير فيه ، بينما كان ذلك الأحمق جيرود يشغل نفسه بالبحث عن اعواد الثقاب واعقاب السجائر ، الم اقل لك ان دليلاً طوله ثلاثة اقدام لا يقل اهمية عن ادق الدلائل !

واردف بوارو قائلا :

— والآن .. من الذي قتل بول رينولد ! انه شخص كان قريباً من الفيللا في حوالي الساعة الثانية عشرة ليلا ، شخص يستفيد كثيراً من موت رينولد .. إن القرائن كلها تشير الى ان ذلك الشخص هو جاك رينولد ..

— وما شأن الخنجر ؟

— آه .. ان هنالك اكثر من خنجر واحد ، ولكن ذلك لا يهم ، المهم ان اقوى دليل ضد جاك هو الوراثة ، فإذا كان الوالد قاتلا ، فلماذا لا يكون الابن كذلك ؟ ولكن ذلك كله لا يهم ايضاً .

— وما الذي يهم الآن ..

فنظر بوارو في ساعة جيبه وقال :

— متى تبحر السفينة من ميناء كاليه بعد ظهر اليوم ؟

— حوالي الساعة الخامسة .

— حسناً .. يمكننا ان نلحق بها .

— هل سنسافر الى انجلترا .

— نعم يا صديقي .

— لماذا ؟

— لأبحث عن .. عن شاهد .

— من يكون ؟

فابتسم بوارو قائلا :

— بيللا دوفين ..

- ولكن كيف تصل اليها ، وماذا تعرف عنها ؟

- إني لا أعلم عنها شيئاً الآن . ولكن في مقدوري أن أستنتج الشيء الكثير . ولنفرض أولاً ان اسمها الحقيقي هو بيللا دوفين ، وما دام الاسم كان مألوفاً لسكرتير المسيو ستونر ، فمن المحتمل انها تعمل على المسرح ، وإن جاك شاب في العشرين من عمره ، واسع الثراء ، والاحتمال كبير في أن يتعرف على بنات الفن ، سواء في المسرح أو السينما ، فهذا يتفق مع محاولة السيد رينولد استرضاءها بالمال ، وأنا أعتقد إني سأعثر عليها بفضل هذه !

ثم تناول من جيبه صورة فوتوغرافية ، وهي نفس الصورة التي عثر عليها في درج بغرفة نوم الشاب رينولد ، وكان مكتوباً عليها العبارة التالية « مع حب بيللا » .

ولكن ذلك كله لم يكن السبب فيما اعتراني من دهشة وجزع ، ذلك ان الصورة كانت تشبه صديقتي الشابة الحسناء .. سندريللا .

وأعدت الصورة الى بوارو وأنا أبذل جهدي حتى لا يرى اضطرابي . ونهض قائلاً :

- إن الوقت قد حان للسفر الى لندن

وفي خلال الطريق الى لندن ، لم اهدأ لحظة واحدة عن التفكير في سندريللا ومدى علاقتها بهذه الأحداث .

وقطع بوارو أفكاري بقوله :

- هـل تذكر صاحبنا آرونز ، متعهد شؤون الفنانين ، سيساعدنا في العثور على ما نريد .

واستغرقنا بعض الوقت في الوصول إلى مكان آرونز الذي رحب بنا بحماس شديد ، ورد على بوارو قائلاً :

- أعتقد اني أعرف كل من يعمل في الحقل الفني ..

- هل تعرف شابة حسناء اسمها بيللا دوفين !

- بيللا دوفين ؟ إن هذا الاسم ليس غريبـــاً على أذني .. ألديك صورة لها ؟

ولما أطلعه بوارو على الصورة الفوتوغرافية ..

هتف الرجل قائلا :

- آه .. إنها إحدى الثنائي المعروف باسم « ثنائي دولسبيللا » .

– ثنائي دولسبيلا ؟

– نعم .. أختان توأمتان ، تقومان بالرقص والغناء والألعاب البهلوانية الخفيفة . وهما الآن ، في رأيي ، تقومان بجولة في الأقاليم ، وقد كانتا في باريس منذ ثلاثة أسابيع .

– ألا تعرف أين هما الآن على وجه التحديد ؟

– بكل سهولة ، عد الى مسكنك وسأرسل اليك بمكانها غداً صباحاً .

وكان عند وعده ، ففي حوالي الحادية عشرة من صباح اليوم التالي أرسل الينا هذه المعلومات في رسالة قصيرة « إن ثنائي دولسبيللا يعمل الآن في مدرج بالاس بضاحية كافنتري ، أتمنى لك حظاً سعيداً » .

ومضينا في المساء الى ذلك المسرح ، واخذنا نتتبع – في ملل – فقرات البرنامج الاستعراضي ، حتى إذا جاء دور ثنائي دولسبيللا ، خفق قلبي بعنف حينما رأيت صاحبتي سندريللا بشعرها الأسود الفاحم تتقدم مع اختها التوأم ذات الشعر الذهبي ، وكانت الاثنتان متشابهتين في كل شيء فيما عدا لون الشعر ، وقد أثارت ضجة من الاعجاب الشديد ببراعتها في الرقص والألعاب البهلوانية المضحكة .

ولم أستطع أن أحتمل الموقف ، فقلت لبوارو :

– إن الجو خانق ، سأنصرف .

– انصرف إذا شئت يا عزيزي ، اما أنا فإني أستمتع بالبرنامج .

وكان فندقنا يقع على مسافة يسيرة من المسرح .

ولما وصلت الى قاعة الجلوس فيه ، طلبت شراباً قوياً ، وفجأة رأيت سندريللا تسرع نحوي وتقول بأنفاس لاهثة :

– لقد رأيتك في الصالة بالمسرح ، انت وصاحبك ، ولما انصرفت أسرعت وراءك لأعلم مكانك ، لماذا أنت هنا ؟ وماذا تريد أنت وصاحبك ، أليس هو رجل المباحث !

ونظرت اليها وهي واقفة والرداء الواسع يخفي ملابسها المسرحية ، وكان وجهها شاحباً وصوتها مفعماً بنبرات الخوف ، وأدركت فجأة لماذا جاء بوارو إلى لندن وماذا يريد منها وكذلك أدركت في تلك اللحظة إني أحبها

وعادت تقول بصوت هامس خائف :

– هل جاء يبحث عني ؟

ولما لم أجب ، تهالكت على مقعد قريب وانفجرت باكية ، فأسرعت اليها وأخذتها بين ذراعي وأخذت أمسح دموعها بقبلاتي وأنا أهمس .

– لا تبكي يا حبيبتي ، لا تبكي أرجوك .. إنك في أمان ، سأحميك من كل خطر يتهددك ، إني أعلم كل شيء ..

– لا .. لا .. إنك لا تعلم !

– بل اعلم يا حبيبتي ، انت التي اخذت الخنجر ! اليس كذلك ؟

– نعم .

– ولهذا طلبت ان امضي بك لتشاهدي كل شيء عن الحادث ، وهناك في الكوخ تظاهرت بالاغماء لتأخذي الخنجر من انائه الزجاجي .

– نعم .

– لماذا أخذت الخنجر ؟

– كنت أخشى ان تكون عليه بصمات أصابع .

– ولكن ألا تذكرين أنك كنت مرتدية قفازاً عند ارتكاب الجريمة !

فهزت رأسها في حيرة وقالت :

– لا طبعاً ..

فحملقت في وجهي بدهشة وشك ..

ثم تمتمت :

– لماذا ؟

ووجدت نفسي أقول لها ببساطة :

-- لأني أحبك يا سندريللا ..

وأحنت رأسها كأنها تشعر بالخجل..

ثم تمتمت بصوت خافت :

- ولكنك لا .. لا .. هل ستبقى على حبي لو .. لو عرفت ؟

ثم رفعت رأسها وقالت فجأة :

- ماذا تعلم عن علاقتي بذلك الحادث ؟

فقلت بارتباك :

- اعلم انك ذهبت لزيارة المستر رينولد في مساء اليوم السابع من هذا الشهر ، وقد عرض عليك شيكاً بمبلغ كبير ، ولكنك مزقته بكبرياء ، ثم انصرفت من الفيللا ..

ولما توقفت . قالت :

- استمر .. وماذا بعد انصرافي ؟

- انني لا اعرف هل كنت تعلمين ان جاك سيعود إلى ميرانفيل في تلك الليلة ، ام إنك قررت الانتظار على أمل عودته ورؤيته ، ولعلك كنت تشعرين بالتعاسة ، فأخذت تتمشين على غير هدى ، وايا كان الأمر فقد وصلت إلى حافة ملعب الجولف في حوالي الثانية عشرة حيث رأيت شخصاً .

وفجأة وضحت الصورة امامي ..

لقد كان رينولد الأب مرتدياً معطف ابنه في تلك الليلة وهو لا يدري ولما كان الأب والابن متشابهين في المنظر من الخلف فقد شك ان الفتاة ظنت ذلك الشخص جاك رينولد ..

ومن ثم قلت مستطرداً :

- وظننت ان ذلك الشخص هو جاك ، وثار غضبك واشتعلت نيران غيرتك وقررت في لحظة أن تنفذي تهديداتك له في الخطاب ، فانقضضت عليه وطعنته من الخلف بالخنجر ، رغم انك لم تكوني تريدين قتله فعلا ، إلا

انك قتلته يا سندريللا .

واخفت الفتاة وجهها بيديها وهي تقول

— انك على حق .. على حق تماماً ..

واستدارت نحوي فجأة وقالت بحدة .

— وانت تحبني ؟ كيف تحبني وانت تعلم عني هذا كله !

فقلت في يأس :

— إن الانسان حين يحب لا يفكر لماذا احب ، إن الحب قضاء وقدر ، لا حيلة للانسان فيه ، وقد أحببتك منذ رأيتك اول مرة .

وفجأه اخفت وجهها بيديها مرة أخرى وهتفت باكية :

— اني لا اعلم ماذا افعل ، ارجوك ان ترعاني ، اخبرني مـــاذا يجب ان افعل !

— لا تخافي يا بيللا .. لا تجزعي ، إني احبك ، وسأساعدك على اجتياز هذه المحنة ، إني لا اريد منك شيئاً ، يمكنك ان تستمري في حب جاك إذا اردت ، ولكن حبي !

— اتظن إني احب جاك ؟

ثم القت بذراعيها حول عنقي وضغطت بخدها على خدي واردفت قائلة :

— لا لا . اني احبك انت .. انت فقط ، انت حبي الوحيد ..

واحسست في تلك اللحظة كأنني انتقلت فجأة إلى عالم وردي جميل كل ما فيه حب وغناء وجمال .

ولكن صاحبي بوارو ، غفر الله له ، ايقظني من عالمي هذا بوقوفه امام الباب .

ومن ثم هتفت ببيللا قائلا :

— اسرعي بالانصراف . اهربي .. لسوف امسك به حتى لا يلحق بك :

واندفعت الى بوارو وامسكت بذراعيه بقبضتين من حديد ربثما انفلتت

هاربة ..

وقال بوارو باسماً :

ـ ما هذه الحماقة يا عزيزي هاستنج ، هلم نجلس ونتحدث بهدوء .

وبعد ان جلسنا قال :

ـ إذن فأنت تعرف هذه الفتاة ؟ إنك لم تخبرني انها هي صاحبة الصورة الفوتوغرافية ؟

ـ هذا من شأني

ـ حسناً .. فهل تنوي منذ الآن ان تعمل معي او تعمل ضدي ؟

وفكرت برهة ..

ثم نظرت اليه في ارتياب لا سيا حين رأيته متمالكاً اعصابه الى حد عجيب .

واخيراً قلت :

ـ اني يا عزيزي بوارو سأعمل حسب ما يوجهني اليه قلبي .

ـ واذا تعارض ذلك مع واجبك .

ـ ان واجبي كله هو اخلاصي وحبي للفتاة ، واذا قررت يا بوارو ان تقدمها للمحكمة فسوف أشهد بأنها كانت معي ليلة الحادث ، واننا وصلنا معاً الى لندن .

ـ فهل تقسم على صحة الشهادة في المحكمة .

ـ بكل تأكيد ..

فهز بوارو رأسه وقال :

ـ اذن ليحيا الحب يا عزيزي هاستنج .

- ٢٣ -

لم اكن اتوقع ان افيق من حماس ونشوة الحب في اليوم التالي

حقاً إن حبي لبيللا لم يهدأ أو يخف ، ولكن شعوري بالواجب نحو العدالة ، جعلني أدرك مدى اندفـاعي في حديثي مع بوارو في الليلة السابقة ..

وهكذا التقينا على مائدة الافطار وكأن شيئاً بيننا لم يحدث ، وبعد الافطار قلت له اني سأخرج لأتمشى قليلاً .

ولكنه ابتسم وقال :

– إذا كنت تريد الحصول على المزيد من المعلومات ، فلا داعي لأن تتعب نفسك ، يمكنني أن أزودك بكل ما تريد ، ان ثنائي دولسبيللا قد الغى عقده مع مسرح بالاس وذهبت التوأمتان إلى مكان لا يعرفه أحد .

– أحقاً هذا يا بوارو ؟

– نعم .. لقد قمت ببعض التحريات هذا الصباح ، وماذا كنت تنتظر غير هذا ؟

ورمقني بنظرة فاحصة ..

ثم قال مردفاً :

– يبدو انك مرتبك حائر يا هاستنج ! ولعلك تتساءل لماذا لم أسرع لاقتفاء آثارها ؟

- نعم لماذا ؟

- لأني لا أريد ان أضيع وقتي في البحث عن ابرة داخل مخزن تبن ، إن في مقدوري أن أعثر عليها عند اللزوم .

ونظرت اليه في حيرة ..

ثم قلت :

- أعتقد انه لم يعد من حقي أن أسألك ماذا تنوي أن تفعل الآن ؟

- لا لا يمكنك أن تسأل ما تشاء ، إننا سنعود إلى فرنسا فوراً .

- أتعني أنا وأنت ؟

- نعم ، على الأقل لكي أبقى أمام عينيك دائماً ؟

ثم ابتسم وأردف قائلاً :

- وحتى أجنبك مشقة تعقبي وأنت بلحية مستعارة وما إلى ذلك ؟

ثم أردف مرة أخرى قائلاً :

- والآن .. دعنا من هذا كله ، إن مهمتي الآن هي انقاذ جاك رينولد ! جاك رينولد ؟ لقد كدت أنسى ان هناك شاباً بريئاً مهدداً بخطر الحكم عليه بالاعدام ؟

لقد أنساني حبي لسندريللا « بيللا » واجبي لانقاذ شاب بريء من الحكم بالموت ؟ كيف خطر ببالي ان أفكر في انقاذ بيللا بشهادة كاذبة ، وبذلك أسوق شاباً بريئاً إلى المقصلة ؟

ولكن لا . إن في مقدور بوارو ان يثبت براءته دون إدانة بيللا ، هذا ما يجب أن يفعله ، وإلا فليس هو الخبير الجنائي الذي عهدته .

والفتاة نفسها؟ ماذا ستفعل حين تعلم أن حبيبها السابق — جاك رينولد — قد قبض عليه بتهمة قتل والده ؟

هل ستستمر في الهرب والاختفاء ، تاركة ذلك الشاب الذي أحبته ليكفر عن جريمة ارتكبتها هي ؟

إن في مقدورها أن تتقدم الى العدالة فتطالب بالرأفة على أساس ان الغيرة العمياء هي التي دفعتها الى ارتكاب تلك الجريمة ، وانها لم تكن تعرف أن الشخص الذي كان واقفاً بظهره اليهـــا هو بول رينولد الأب ، وليس رينولد الابن .

أي ان الجريمة ارتكبت خطأ وفي لحظة انفعال ، وهذا كله سيخفف عنها الحكم الى حد كبير .

ولكن .. لا بد لبوارو أن يجد مخرجاً للجميع من هذا المأزق .. لا بد أن ينقذ جاك دون ان يضطر الى تقديم بيللا للعدالة

فهل يمكنه هذا ؟

هذه هي المشكلة ؟

* * *

وعدنا الى فرنسا في قطار البحر الليلي ، وفي صباح اليوم التالي مضينا الى مدينة سانت أومار التي أودع جاك في سجنها .

ولم يضع بوارو وقتاً في زيارته للمحقق المسيو هوتيت ، وذهبت معه .

وبعد الاجراءات المعتادة ، دخلنا غرفة المحقق الذي حيانا قائلا في ترحيب :

— اني سعيد بعودتك الى فرنسا يا مسيو بوارو ، أرجو ان تكون قد وفقت الى شيء في رحلتك الى انجلترا .

ولما هز بوارو كتفيه ، قال المحقق :

— لا بد لنا اذن من الاعتراف ببراعة ذلك الذئب جيرود ، انه انسان خشن غليظ القلب لا يعرف المجاملة ، ولكنه بارع حقاً .

— أتعتقد هذا يا مسيو هوتيت !

— هذا هو رأيي الذي أومن به مضطراً . .

ـ سوف ترى .. والآن بماذا دافع جاك عن نفسه !

فقطب المحقق جبينه وقال .

ـ انه عاجز عن الدفاع عن نفسه بشيء معقول ، كل ما يفعله أنه ينكر كل شيء ، واذا عجز عن الانكار التزم الصمت التـــام ، وعلى كل سأعيد استجوابه غداً ويمكنكما حضور هذه الجلسة .

وقبلنا الدعوة شاكرين .

وتنهد المحقق وقال :

ـ انها قضية محزنة ، اني قلق كثيراً على الأم .. مدام رينولد .

ـ ترى كيف حالها الآن ..

ـ انها لم تتنبه بعد من اغمائها ، وذلك من حسن حظها في الوقت الحاضر ، وقد أجمع الأطباء على أنها اجتازت مرحلة الخطر ، ولكنها ستحتاج الى راحة تامة وهدوء في الأعصاب . آه .. لقد حولت الي رسالة وردت باسمك يا مسيو بوارو .. ها هي ..

ثم تناول من درج مكتبه رسالة قدمها الى بوارو قائلا :

ـ لقد أرسلت أولاً باسمي لكي أسلمها اليك ..

ونظر بوارو الى الخط المكتوب به مظروف الرسالة ، ثم وضعها في جيبه دون أن يفضها .

ثم قال المحقق :

ـ الى اللقاء غداً يا سيدي .. وشكراً جزيلا .

وما كدنا نبتعد عن دار المحكمة حتى التقينا بالمستر ستونر ، سكرتير بول رينولد ، وبعد أن تبادلنا معه التحية ، اقترح أن يسير معنا الى الفندق .

وقال له بوارو .

ـ ماذا تفعل هنا يا مسيو ستونر ..

ـ على الانسان ان يقف بجانب اصدقائه لاسيما ان كانوا في محنة طائلة .

ـ اذن فأنت لا تعتقد ان جاك رينولد هو القاتل ..

ـ طبعاً لا .. اني اعرفه حسناً ، فرغم بعض تصرفاته الحمقاء التي اغضبتني فإني اعتقد انه بريء تماماً من قتل ابيه

وشعرت بالمودة الدافقة نحو ذلك السكرتير الوفي الذي استطرد قائلا :

ـ وانا اعتقد ان كثيراً من الناس يؤمنون ببراءته ، ولهذا اعتقد ان القضاة سيطلقون سراحه قريباً ، ولكن ما رأيك انت يا مسيو بوارو .

ـ رأيي ان المسيو رينولد يواجه موقفا عصيبا ..

ـ اتعتقد انه مذنب !

ـ لا .. ولكنني اعتقد ان من العسير عليه ان يثبت براءته

ـ ولكن الجميع يعلمون ان الخنجر لم يكن مع جاك في تلك الليلة ، لقد شهدت والدته بأن الخنجر كان على المنضدة بقرب السرير .

فقال ستونر :

ـ هذا صحيح ، وعندما تفيق من غشيتها ستوضح لنا الكثير من الأمور الغامضة

ـ مؤكد .. مؤكد ..

وبعد ان انصرف ، قلت لبوارو ونحن ندخل الفندق :

- إن موضوع الخنجر مهم كثيراً يا بوارو ، إني لم استطع أن أصرح بأكثر من هذا أمام ستونر

ـ لقد أحسنت ، فالأفضل أن نحتفظ بمعلوماتنا بقدر الامكان ، أما عن الخنجر فإن هذا الموضوع ، أعني موضوع الخنجر ، فليس في صالح رينولد ، ولعلك تذكر إنني غبت عنك نحو ساعة هذا الصباح قبل مغادرتنا لندن

- نعم .

- لقد كنت مشغولاً في تلك الساعة بالبحث عن الشركة التي عهد اليهـــا رينولد بصنع الخناجر التي كان يهديها باعتبارها فتاحات ورق ، وقد عرفت

مكان هذه الشركة ، وعلمت أنه لم يعهد اليها بصنع خنجرين .. وإنمـــا بثلاثة .

ـ أهكذا؟

ـ وبعد أن أهدى خنجراً لأمه ، أهدى الثاني لبيللا دوفين ، ولا شك انه احتفظ بالثالث لنفسه ، وهكذا نرى موضوع الخنجر ليس في صالح جاك على الاطلاق .

فهتفت قائلا بحماس :

ولكنك ستنقذه يا بوارو . اليس كذلك ؟

ـ كيف انقذه وقد جعلت الأمر عسيراً أمامي بوقفك من بيللا دوفين يا هاستنج .

ـ ولكن لا بد أن هناك وسيلة ما لانقاذه !

ـ انك تطلب مني القيام بمعجزة إذن .. حسناً ، لنرى مـــاذا تحوي هذه الرسالة .

وبعد أن قرأ الرسالة التي حولها اليه المحقق ..

قدمها إلي قائلا :

ـ يبدو أن هناك نساء أخريات في هذا العالم يعانين الكثير .

وكانت الرسالة من مارتا دوبريل ، وقد جاء فيها :

« عزيزي السيد بوارو .. أرجوك أن تسرع للوقوف بجانبنا اني لا أجد أحداً ألجأ اليه غيرك ، يجب انقاذ جـــاك .. إنني أتوسل اليك وأنا راكعة أمامك لانقاذه . »

فأعدت الرسالة اليه قائلا :

ـ هل ستذهب .

ـ فوراً .. لسوف نستأجر سيارة .

وبعد نصف ساعة وصلنا إلى فيللا مرغريت ..

واستقبلتنا مارتا دوبريل على الباب ، وتعلقت بيدي بوارو وهي تقول متوسلة :

ـ آه .. لقد أتيت ، لا أدري كيف أشكرك ، كنت في حالة يأس ولا أدري ماذا أفعل ، انهم يرفضون ان أراه في السجن ، إني أتمزق من فرط الحزن ..

ثم أردفت قائلة :

ـ هل حقاً ما يقال بأنه لا ينكر ارتكابه للجريمة ؟ إن هذا مستحيل ، انه مجنون ، إني لا اصدق هذا ابداً ، أبداً ..

فقال بوارو بهدوء :

ـ ولا أنا يا آنستي .

ـ ولكن لماذا يمتنع عن الكلام ، إني لا أفهم هذا الموقف !

ـ ربما لأنه يحاول التستر على شخص عزيز عليه ؟

ـ التستر على شخص عزيز عليه ؟ أتعني والدته يا مسيو بوارو . آه ، لقد كنت ارتاب فيها منذ اللحظة الأولى ، إنها هي التي سترث الثروة كلها . وما أسهل أن تمثل دور الأرملة الحزينة أمام الناس ، ولا شك ان المسيو ستونر يساعدها في القيام بهذا الدور ، إن بينهما علاقة وطيدة ، نعم .. هي وذلك المسيو ستونر .. سكرتير زوجها ، حقاً إنها اكبر منه سناً ولكن الرجال لا يبالون في مثل هذه الأحوال .

فقلت :

ـ لقد كان ستونر في انجلترا عند وقوع الحادث يا آنسة .

ـ هذا ما يدعيه ، ولكن هل هذه هي الحقيقة !

ـ إننا إذا عملنا معاً يا آنسة فسوف نصل إلى حل لانقاذ جاك ، هل تسمحين لي بتوجيه بعض الأسئلة اليك !

ـ نعم يا سيدي .

- هل تعرفين اسم والدتك الحقيقي ..

ونظرت مارتا اليه برهة ..

ثم أخفت رأسها وانفجرت باكية ..

وقال بوارو وهو يربت كتفها برفق :

- هدئي من روعك يا آنسة ، لقد فهمت انك تعرفين ، ولكن هـل تعرفين ايضاً حقيقة المسيو رينولد !

فرفعت وجهها في تساؤل وقالت بدهشة :

- حقيقة المسيو رينولد !

- آه . ارى انك لا تعرفين ، والآن اسمعي جيداً .

وراح ، خطوة خطوة ، يشرح لها تفاصيل القضية ، كما فعل معي قبل ان نرحل إلى لندن بحثاً عن بيللا دوفين .

وظلت مارتا تنصت في ذهول ..

ولما فرغ ، تنهدت في عمق وقالت :

- إنك رائع رائع .. أروع ضابط مباحث في الدنيا .

ووثبت من مقعدها ، حيث كنا في غرفة الاستقبال ، وركعت أمام بوارو وهي تقول :

- انقذه .. التمس منك ان تنقذه يا مسيو بوارو .. ارجوك ، اتوسل اليك . إنه بريء ، بريء ..

- ٢٤ -

وحضرنا في اليوم التالي جلسة استجواب جاك رينولد الذي بدا شاحب الوجه زائغ النظرات شارد الذهن كشخص لم ينم منذ ليال كثيرة .

وقال له المحقق .

ـ جاك رينولد ، هل تنكر انك كنت في ميرلنفيل ليلة وقوع الجريمة !

ـ قلت لكم إني كنت في شيربورج في تلك الليلة !

وقال المحقق لأحد رجال الشرطة :

ـ استدع الشاهد .

وكان الشاهد احد الحمالين في محطة ميرلنفيل وقد قرر انه رأى جاك وهو يهبط من القطار الذي وصل إلى المحطة في الساعة الحادية عشرة والنصف.

واقبل شاهد آخر من موظفي المحطة ، وايد شهـــادة الأول ، ثم نظر المحقق إلى جاك وسأله .

ـ ما رأيك فيا سمعت الآن .

ـ لا رأي لي .

ـ رينولد ، هل تتعرف على هذا .

ثم تناول من فوق المنضدة خنجراً مصنوعاً من معدن طائرة .

وهنا صاح المسيو كروسيلا محامي الشاب قائلا :

ـ إني اطلب التحدث مع موكلي قبل ان يجيب عن هذا السؤال

ولكن الشاب لم يحفل بمحاميه ، فرد قائلا :

- نعم أعرف ، إنه هدية قدمتها لأمي .

- هل هناك ، بقدر ما تعرف ، خنجر مماثل له تماماً !

- لا .. انني أنا الذي وضعت تصميم هذا الخنجر .

ودهشنا جميعاً .

وأدركت أن جاك يحاول أن يتستر على الفتاة التي أحبها يوماً ، يتستر على بيللا دوفين معرضاً نفسه للموت حماية لها .

وسأل المحقق :

- لقد قالت لنا مدام رينولد والدتك أن هذا الخنجر أخـذ من فوق منضدة غرفة نومها في ليلة وقوع الحادث ، ولكن مدام رينولد أم ، ولهذا قد يدهشك أن تعلم أن مدام رينولد أخطأت في اقوالها ، ذلك لأن لدينا من الأدلة ما يثبت أن هذا الخنجر كان معك ليلة الحادث .. فهل تنكر هـذا ؟

- ربما ، إني لا أنكر شيئاً .

وحاول المحامي أن يعتذر عن جاك بأنه يعاني من انهيار عصبي يجعله يتفوه بعبارات خطيرة ولكن المحقق أسكته غاضباً ونظر إلى الشاب قائلاً :

- هل تدرك يا جاك رينولد أن إجابتك هذه سوف تضطرني إلى تقديمك للمحاكمة ؟

فقال الشاب بلهجة تأكيد :

- أقسم لك يا مسيو هوتيت إني لم أقتل أبي .

فهز المحقق كتفيه ، فقال :

- طبعاً طبعاً ، إن جميع المتهمين يقسمون بأنهم لم يرتكبوا شيئاً ، ولكنك أدنت نفسك في هذه القضية بنفسك ، بـأقوالك ، وبأكاذيبك ،

وبعدم قدرتك على تقديم دليل واحد يثبت بعدك عن مسرح الجريمة في ليلة وقوعها ، لقد قتلت أباك يا مسيو رينولد من أجل المال ، إذ كنت تظن إنك سترث نصف الثروة ، وإن والدتك تعتبر متسترة عليك ، ولكن المحكمة لا تقسو عليها باعتبارها أماً تحاول انقاذ ابنها ، أمـــا أنت ، فلا بد من محاكمتك على جريمة بشعة يستنكرها الله والناس .

وهنا فتح باب القاعة وأقبل أحد الحجاب فقال :

– يا سيدي المحقق ، يا سيدي المحقق ، هناك سيدة تقول . تقول !

– تقول ماذا ؟ إني أمنع هذا ، إني ..

ولكننا فوجئنا بدخول فتاة رقيقة الجسم ، تضع على وجهها نقاباً أسود ، تدخل بسرعة .

وعرفتها .. إنها بيللا دوفين ، لقد أقبلت أخيراً لتنقذ جاك البريء .

وشهقت من فرط الدهشة حين رأيتها ترفع النقاب عن وجهها ، إنها لم تكن سندريللا رغم الشبه الكبير بينهما ، وإنما كانت أختها التوأم بعد أن خلعت عن رأسها باروكة الشعر الذهبي ، فأصبحت مطابقة تماماً لصورة الفتاة التي وجدناها في غرفة جاك رينولد .

وقالت الفتاة :

- هل أنت يا سيدي المحقق في هذه القضية ؟

– نعم . ولكن اللوائح تمنع ..

- إني بيللا دوفين ، وأريد ان أعترف بأني قاتلة المسيو بول رينولد والد هذا الشاب !

* * *

وتلقيت في اليوم التالي الرسالة التالية من سندريللا

عزيزي الكابتن هاسلنج :

لسوف تعلم كل شيء حين تتسلم رسالتي هذه ، لقد تعبت من محاولتي اقناع أختي بيللا بعدم تقديم نفسها للمحاكمة ، ولكنها أصرت على موقفها

ستعلم الآن إني خدعتك حين جعلتك تعتقد إني بيللا دوفين ، بينما أنا في الواقع اختها التوأم سندريللا أعني دولسي دولفين

وأبدأ قصتي منذ رأيتك لأول مرة في قطار البحر الذاهب من باريس الى لندن .

كنت أشعر بالقلق على بيللا التي ذهبت لمقابلة جاك رينولد بعد أن توقف عن مراسلتها ، كانت تظن انه تعرف بفتاة أخرى ، وصح ظنها فيما بعد ، ولهذا قررت أن تذهب لمقـــابلته رغم معارضتي ، لأني كنت أخشى ان يقع شيء خطير بينهما .

ورغم حرصي الشديد في مراقبتها ، فقد غافلتني في باريس واختفت عن نظري ، ولهذا هبطت في كاليه فقررت عدم مواصلة السفر إلى لندن حتى اطمئن عليها .

واسرعت إلى فندق في بلدة ميرلنفيل ، وعثرت عليها ، وتناقشت معها طويلاً في عدم ذهابها إلى فيللا جينفييف .

ولكنها اصرت على الذهاب . وذهبت ، وجلست انتظرها ، ولكنها لم تعد في تلك الليلة ، ولا في الليلة التالية .

وشعرت بالقلق الشديد عليها ، ثم قرأت في صحف المساء .. مساء اليوم الثالث من يونيه ، نبأ الجريمة ، وازددت خوفاً عليها وتصورت ما حدث ، تصورت إنها التقت بوالد جاك ، وإن الأب اهانها إلى حد كبير فـــأفلت منها زمام اعصابها وطعنته بالخنجر .

والواقع إننا من الفتيات السريعات الغضب ، ثم قرأت بعد ذلك حكاية الأجانب ذوي الأقنعة واللحى الطويلة ، وبدأت اشعر بالاطمئنان على اختي ،

إلا إني قررت البقاء حتى ازددت تأكيداً بأنه لا يوجد اي خطر يتهدد حياتهـــا .

وفي صباح اليوم التالي ، التاسع من يونيه ، ذهبت إلى مكان الحـــادث لأتحرى بنفسي ، وهكذا التقيت بك واغريتك لكي تطلعني على الجثة ، ولما رأيت المجنى عليه مرتدياً معطف جاك ، رأيت الخنجر الملون الذي كان جاك قد اهداه لبيللا . ادركت ان بيللا طعنت به الأب وهي تحسبه جاك – الابن – وتأكدت انها ولا شك تركت عليه بصمات اصابعها ، فقررت في لحظة خاطفة ان اسرقه .

وهكذا تظاهرت بالاغماء وطلبت منك ان تأتيني بكوب مـــاء ، وفي خلال غيبتك سرقت الخنجر وخبـــأته في ثوبي ، فقلت لك إني مقيمة في فندق دي فير

ولكني كنت اكذب عليك طبعاً ، ذلك لأني كنت انزل في فندق آخر ، ولكني في ذلك اليوم ، بعد ان سرقت الخنجر ، اسرعت بالرحيل إلى لندن وحرصت على ان القي بالخنجر في بحر المانش .

وهكذا تخلصت تماماً من اداة الجريمة ، ووجدت بيللا في مسكننا بلندن واخبرتها بما فعلت ، واكدت لها انها اصبحت في امان .

وحدقت في وجهي برهة ثم انفجرت ضاحكة .

وظلت تضحك حتى ظننت إنها فقدت عقلها ، فقررت ان اشغلها بعمل سريع حتى لا تفقد عقلها حقاً إذا هي ظلت تفكر في تلك الجريمة ، وهكذا تعاقدنا للعمل في مسرح بالاس .

ولما اتيت انت يا عزيزي ماستنج ، ظننت إني بيللا دوفين ، وإني سرقت الخنجر حماية لنفسي .

وتركتك سادراً في هذا الظن حتى تتستر على اختي التي كنت تحسبها انا – لأني لو كنت اخبرتك بالحقيقة لمـــا اهتممت بأمر اختي اهتمامك

بأمري .

إني آسفة على هذا الموقف المشين يا عزيزي هاستنج ، ولكني كنت في حالة يأس شديد ..

كنت كالانسان الذي لا يتورع عن القيام بأي شيء انقاذاً لأحب الناس اليه ، ولكن بمجرد ان قرأت بيللا في الصحف الانجليزية نبأ القبض على جاك ، فقررت ان تتقدم لاثبات براءته من تهمة قتل ابيه ، هذه هي القصة كلها يا عزيزي .. »

وكانت الرسالة بامضاء « دولسي دوفين » .

فقلت لبوارو بعد ان فرغ بدوره من القراءة :

– هل كنت تعرف طيلة الوقت ان بيللا دوفين ليست صديقتي سندريللا ؟

– نعم يا صديقي .

– ولماذا لم تخبرني بذلك ؟

– كنت اظن انه ليس من الممكن ان تخطىء في التمييز بين صديقتك واختها حين رأيت الصورة .

– لقد خدعتني باروكة الشعر الذهبي ، والمهم لماذا تركتني على خطأي اثناء وجودنا في الفندق بلندن !

– لأنك لم تترك لي اية فرصة لأذكر لك شيئاً .

– وبعد ذلك !

– اردت ان اعرف مدى حبك لسندريللا ، اعني للآنسة دولسي ، فقد ثبت لي الآن إنك تحبها باخلاص لأنك بقيت صامتاً عزوفاً عن ذكر الحقيقة حتى وانت ترى جاك البريء في اشد المواقف حرجاً .

فأومأت برأسي ..

ثم قلت :

ـ هذا صحيح . ولكن هل كنت تظن إني سأترك جاك يساق إلى المقصلة دون ان اذكر الحقيقة ! لقد بقيت صامتاً على امل ان تنجح انت في انقاذه من الاعدام .

ونظرت إلى الرسالة الطويلة برهة ..

ثم اردفت :

ـ ولكنها لم تذكر في الرسالة ما إذا كانت تبادلني الحب ام لا !

ـ اعتقد ان كل كلمة في الرسالة تكشف عن حبها لك يا عزيزي .

ـ ولكنها لم تكتب عنوانها ، فأين سأعثر عليها مرة اخرى !

ـ دع هذه المهمة لصديقك بوارو ، لسوف اعثر عليها من اجلك في اقل من خمس دقائق ..

- ٢٥ -

فقال بوارو وهو يشد على يد جـــاك رينولد بعد ان تمت اجراءات الافراج عنه :

ـ اهنئك يا مسيو رينولد .

وابتسم الشاب فقال :

ـ لقد حاولت جاهداً ان احميها ، ان احميها ، إن احمي بيللا دوفين ، ولكن محاولتي لم تجد !

وسأل ستونر الذي كان سيرافقنا الى ميرلنفيل :

ـ اتعتقد إن الفتاة ستقبل تلك التضحية منك . .

ـ نعم . . نعم . . ولكن ماذا سيكون مصيرها .

فهز بوارو كتفيه فقال ·

ـ إن المحامي البارع يستطيع أن يحصل لها على البراءة أو على أخف حكم ممكن ، لأن القضاة الفرنسيين يحترمون العواطف إلى أقصى حد .

ـ الواقع يا مسيو بوارو إني أشعر إني المسئول عن موت أبي ، فلولا غرامياتي هذه ، ولولا إن أبي ارتدى معطفي خطأ ، لما قتلته بيللا خطأ ، والحقيقة إني أسأت اليها اكبر إساءة عندما أهملت شأنها وتعلقت بمـــارثا دربريل من أول نظرة . وأنا التمس لها العذر في كل ما فعلت ، فقد أثبتت إنها تحبني حباً جعلها تفقد صوابها ، وها هي ذي مرة أخرى تثبت قوة

حبها عندما تقدمت لتعترف بذنبها حتى تنقذني من الحكم بالاعدام

ثم صمت برهة قبل ان يستطرد قائلاً :

– ولكن الشيء الذي يدهشني ، فهو لماذا خرج أبي في تلك الليلة يتجول خارج حديقتنا ؟ لعله اراد ان يروغ من أولئك السفاحين الأجانب ! وهل أمي أخطأت حين ظنت أن هؤلاء السفاحين شخصان فقط ، لا شك أن فزعها في ذلك الحين جعلها تخطىء في عددهم ، كما أخطأت في تحديد الوقت .

فقال بوارو :

– اطمئن من هذه الناحية يا مسيو جاك .. فسأشرح لك كل شيء في الوقت المناسب ، والآن فهل يمكنك أن تخبرنا بكل ما تعلم عن تلك الليلة الرهيبة !

فقال الشاب

– لقد عدت إلى ميرلنفيل من شيربورج كما ذكر الشاهدان ، وكنت أريد رؤية مارتا دوبريل قبل أن ابحر الى اميركا الجنوبية ، ورأيت أن اختصر المسافة من المحطة واصل مباشرة إلى فيللا مرغريت ، فسرت في الطريق الذي يخترق ملعب الجولف ، فلما وصلت الى نهاية الملعب فوجئت بسماع صيحة رهيبة . كانت صيحة مختنقة أفزعتني ، وتسمرت في مكاني برهة ، وبعدها تقدمت نحو شط الشجيرات ، وكان القمر مضيئاً ، ومن مكاني رأيت قبراً محفوراً وبجانبه شخص ملقى على وجهه وفي ظهره خنجر .. ثم رفعت رأسي ورأيتها ، وبدت لي في أول الأمر كأنها شبح ، ولعلها كانت تظن إني شبح ، لأنها ظلت تحملق في وجهي بفزع شديد ، ثم ارسلت صيحة خافتة وانطلقت تجري .

– وبعد ذلك ؟

– لا أدري تماماً ، ولكني اعتقد إني بقيت برهة مذهولاً ، ثم قررت أن ابتعد بسرعة ، فلم يخطر ببالي إني سأكون متهماً ، ولكني خشيت أن

يستدعوني لأدلي بالشهادة ضدهـــا ، وهكذا سرت بسرعة إلى بلدة سانت بوفيز ، ومن هناك استأجرت سيارة وعدت إلى شيربورج .

وطرق الباب احد خدم الفندق ، وسلم ستونر برقية لجـــاك بعد ان قرأهـــا :

– لقد استردت مدام رينولد وعيها ..

ووثب بوارو واقفاً فقال :

– أهكذا .. حسناً ، يجب ان نسرع جميعاً إلى ميرلنفيل .

ولكن ستونر قرر البقاء في سانت اومار حتى يكون بجوار بيللا دوفين خلال محنة سجنها ، وهكذا انطلقنا إلى ميرلنفيل ، جاك رينولد وبوارو وأنا ، ولما اقتربنا من فيللا مرغريت ، قال جاك :

– هل تسمح وتذهب يا مسيو بوارو وتخبر أمي بنبأ اطلاق سراحي ؟

فابتسم بوارو وقال

– ربما تذهب انت وتخبر مارتا بهذا النبأ ؟ حسناً .. سأذهب .

وغادر الشاب السيارة امام فيللا مرغريت ، ومضينـــا نحن إلى فيللا جنيفييف ، وهناك فتحت لنا فرانسواز الباب . فأخبرها بوارو انه يريد رؤية مدام رينولد فوراً ، وصعد هو بمفرده ، ولم يلبث بعد دقائق أن هبط قائلاً .

– لقد اصيبت المسكينة برضوض قاسية في رأسها !

وقبل ان اقول شيئاً ، رأيت من النافذة جاك ومارتا دوبريل مقبلين فهتفت :

– ها هما جاك ومارتا دوبريل .

واسرع بوارو إلى مدخل الفيللا فقال لجاك :

- لا تدخل يا عزيزي الآن ، إن امك مضطربة كثيراً .

– انا اعرف ، ولكن يجب ان اصعد لأطمئن عليها .

– إذا اصررت على ذلك فلا تأخذ معك مارتا ، اني انصحك بهذا .

وفي تلك اللحظة سمعنا جميعـــاً صوت المسز رينولد وهي تقول من رأس السلم :

– شكراً يا مسيو بوارو على اهتمامك بأمري ، ولكني سأعبر عن وجهة نظري بصراحه ووضوح وحزم .

ثم راحت تهبط السلم وهي ملفوفة الرأس بالضمادات ، ومعتمدة على زراع الخادمة الفرنسية ليونيه ، فأسرع الشاب اليها هاتفاً :

– اماه .

– إني لست امك ، ولن اكون اماً لك مدى الحياة .

– اماه . .

واضطربت المسز رينولد قليلاً ، ولكنها استردت توازنهـــا بنظرة من بوارو ، فأردفت قائلة :

– إن دماء والدك تقع على رأسك ، لقد تحديته ، فأصررت على ان تتزوج من هذه الفتاة ، ولعبت بعواطف فتاة اخرى مسكينة وكانت النتيجة ان مات ابوك ضحية لنزواتك ، إني لن اهتم بأمرك بعد اليوم ، وسأختفي من حياتك دون ان اترك لك مليماً واحداً ، وعليك ان تشق طريقك بنفسك إذا أردت أن تتزوج من هذه الفتاة التي تعتبر أمها أكبر عدو لي ولوالدك .

ثم راحت تصعد السلم ببطء ونحن ننظر اليها مذهولين .

ولم يحتمل الشاب الصدمة ، فأغمي عليه .

فقال بوارو وهو يسرع لاسعافه :

– إلى أين نحمله يا مس دوبريل ؟

– إلى بيتي . . إلى فيللا مرغريت ، فسأعني به مع أمي ، يا المسكين .

وحملنا الشاب إلى فيللتها حيث تهالك على مقعدين بين اليقظة والاغماء .

وتحسس بوارو يديه وقدميه فقال :

– إنه محموم ، احملوه إلى السرير ، وسأذهب مع هاستنج لاستدعاء الطبيب . .

وحضر الطبيب فقال انه يعاني من انهيار عصبي ، وبأنه سيشفى في اليوم التالي إذا التزم الراحة التامة ، أما إذا تعرض لمزيد من الصدمات فسيطول أمد المرض .

وبعد أن قام باسعافه ، تركناه في رعاية مارتا وأمها ، وعدنا إلى البلدة ، حيث تناولنا طعام العشاء ، وبعد ذلك قررنا الاقامة في فندق دي بان .

وسأل بوارو مدير الفندق قائلاً :

– هل وصلت السيدة الانجليزية مس روبسون ؟

– نعم يا سيدي ، إنها في الصالون الآن .

وقلت لبوارو ونحن في الطريق إلى الصالون:

– من هي المس روبنسون ؟

– إنها خطيبتك دولسي دوفين ، لقد طلبت منها أن تغير اسمها أثناء إقامتها هنا حتى لا يعلم أحد أنها أخت المقبوض عليها بيللا دوفين .

وفي الصالون رأيتها ، رأيت حبيبتي سندريللا وتعانقنا بحرارة .

وقال بوارو بحزم :

– كفى يا ولداي ! إن أمامنا عملا آخر يجب أن نفرغ منه ، هل أمكنك يا آنسة بأن تقومي بالمهمة التي ذكرتها لك !

وتناولت سندريللا من حقيبة يدها شيئاً ملفوفاً في ورق وسلمته لبوارو ونظرت إلى ذلك الشيء مدهوشاً ، كان نفس الخنجر المصنوع من معادن طائرة . . الخنجر الذي ظننت أنها القت به في البحر .

فقال بوارو :

– حسناً يا آنسة ، يمكنك أن تستريحي هنا مع عزيزي هاستنج ريثما أفرغ من مهمة أخيرة .

– إلى اين أنت ذاهب يا مسيو بوارو ؟
– ستعرفين ذلك غداً ..

– ولكنني مصرة على الذهاب معك .
– حسناً يا آنسة .. يمكنك ان تأتي إن شئت .
. وبعد ثلث ساعة سرنا في الطريق إلى فيللا جنيفييف ، وكان الظلام قد انتشر .
ولما وصلنا فيللا مرغريت ، توقف بوارو أمام الباب وقال :
– اريد ان ادخل لأطمئن على حالة جاك رينولد ، تعال معي يا عزيزي ويحسن أن تبقى الآنسة هنا ، فقد تجرح مدام دوبريل شعورها بكلمة .

وفتحنا البوابة ، ومررنا في ممر ، فلما انعطفنا الى جانب الفيللا لفت نظر بوارو الى خيال جانبي لمارتا دوبريل وراء ستارة شفافة في نافذة غرفة ارضية ومن ثم قال بوارو .
– آه . أعتقد ان هذه هي الغرفة التي وضع فيها جاك رينولد .
وفتحت لنا مدام دوبريل الباب ، فقالت إن حالة جاك كما هي ، ولكن يمكننا أن نرى بأنفسنا ، وتقدمتنا الى الغرفة الأرضية

وكانت مارتا دوبريل جالسة تشتغل في قطعة تطريز ، فلما رأتنا وضعت اصبعها على شفتيها
وكان الشاب مضطربـــاً في نومه ، يتقلب من جنب الى جنب ، وكان وجهه لا يزال متوهجاً بالحمى ، وسأل بوارو هامساً :
– هل سيأتي الطبيب مرة أخرى ؟

– لن يأتي إلا إذا أرسلنا اليه ، إن جاك نائم الآن ، فهذا أهم شيء ، لقد قدمت اليه والدتي شراباً مهدئاً .
وعادت الى قطعة التطريز مرة اخرى ، وغادرنا الغرفة ، وصحبتنا مدام دوبريل الى باب الفيللا ، ونظرت اليها في شيء من الخوف بعد ان عرفت

ماضيها ، وكأني أنظر إلى حية سامة .

فقال لها بوارو وهي تفتح لنا الباب :

– أرجو ألا نكون قد أزعجناك يا مدام دوبريل ؟

– لا لا . مطلقاً ؟

وقال فجأة كأنما تذكر شيئاً :

– الم يحدث أن رأيت المستر ستونر في ميرلنفيل اليوم ؟

فأدركت أنه يحاول ان يضيع بعض الوقت بالوقوف مع السيدة دوبريل وتوجيه تلك الأسئلة التافهة اليها

فقد أجابت تقول :

– لا . لم اره ، ولا اعرف إن كان هنا ام لا .

– الم يقابل السيدة رينولد ؟

– ومن اين لي أن أعرف يا سيدي ؟

– صدقت ، ولكني ظننت أنك ربما رأيته ماراً من هنا في ذهابه او مجيئه ، طاب مساؤك يا سيدتي .

ولمـــا حاولت ان أسأله عن سبب هذه الأسئلة ، اسكتني بنظرة من عينيه ، ثم انضممنا الى سندريللا ، وانطلقنا في الطريق إلى فيللا جنيفييف وكان بوارو ، قبل أن يمضي ، فقد القى نظرة الى النافذة ورأى خيال مارثا الجاني وهي جالسة تشتغل بقطعة التطريز ، وعلق على ذلك بقوله :

– إن جاك يتمتع برعاية طيبة طول الوقت .

ولما وصلنا الى مدخل فيللا جينفييف ، اتخذنا – باشارة من بوارو – مكاناً وراء مجموعة من الأشجار يمكننا أن نرى منه واجهة الفيللا والحديقة دون أن يرانا احد .

وكان الظلام يحيط بالفيللا ، وبدا ان كل من يداخلها قد آوى الى فراشه ، فاقتربنا بحذر حتى وصلنا الى مكان تحت نافذة غرفـــة نوم مدام

رينولد مباشرة وكانت النـــافذة مفتوحة ، ولاحظت إن بوارو يركز نظراته عليها .

وسألته هامساً :

ـ ماذا سنفعل ؟

ـ سنراقب ..

ـ ولكن ..

ـ إني لا أتوقع أن يحدث شيء قبل ساعة وربما قبل ساعتين ..

فقطعت حديثه صيحة عالية :

ـ النجدة .. النجدة ..

وأضيء نور في نافذة الغرفة الواقعة في الناحية الأخرى ، الناحية اليمنى من مدخل الفيللا ، وكانت الصيحة آتية من تلك الغرفة ، وليس من الغرفة التي وقفنا تحت نافذتها مباشرة ، وفيما نحن ننظر مذهولين ، رأينـا في ضوء النافذة ظلال اثنين مشتبكين في عراك عنيف .

وصاح بوارو :

ـ يا إلهي . لا بد إنها غيرت غرفة نومها .

واندفع إلى الباب الخارجي للفيللا وراح يطرقه بقبضتي يديه في عنف شديد ، ولما يئس ، عاد وتسلق الشجرة الواقعة أمام النافذة التي كنـــا واقفين تحتها ، ووصل اليها ، وتبعته سندريللا بسرعة وبراعة .

فقلت لها :

ـ كوني على حذر ؟

فهمست تقول :

ـ لا تنس إني بهلوانة ، إن تسلق هذه الشجرة لعبة سهلة ؟

وكان بوارو قد وصل الى داخل الغرفة الخالية وراح يعالج فتح بابها ، ثم قال :

– إن الباب مغلق من الخارج ، وسنستغرق وقتاً طويلاً في فتحه .
وكانت صيحات الاستغاثة قد اخذت تخفت في يأس ، وحاولت مع بوارو ان نكسر الباب بأكتافنا ، ولكن على غير جدوى .

فقالت سندريللا وهي تعود للقفز من النافذة إلى الشجرة :
– اني فقط التي استطيع ان انقذ الموقف .
وقبل ان الحق بها ، رأيتها تقفز في الهواء ثم تتعلق بالحاجز البارز فوق النافذة ، ثم تحرك نفسها وتنتقل بيديها على طول الحاجز لكي تصل الى النافذة الواقعة على الجانب الآخر من باب الفيللا .
وصحت قائلاً :

– يا إلهي .. إنها ستقتل نفسها
ورد بوارو :
– لا تخف ، انها بهلوانة محترفة ، فقد ساقتها الأقدار الي الليلة لتنقذ الموقف ، ارجو ان تصل في الوقت المناسب .
وشقت سكون الليل صيحة فزع حين دخلت سندريللا الغرفـــة من النافذة ..
ثم اذ بنا نسمع صوت سندريللا وهي تقول :

– لا تحاولي التخلص مني ، ان لي قبضتين من حديد .
وفي تلك اللحظة فتح باب الغرفة التي كنا بها ، ورأينا فرانسواز شاحبة الوجه ترتعد .
ولكن بوارو ازاحها جانباً ، فـــانطلقت وراءه عبر الممر الى الغرفة الأخري التي كانت الأحداث تجري بداخلها سراعاً .
ولكن احدى الخادمات المرتعدات صاحت :
– انها مغلقة من الداخل ، لقد حاولنا عبثاً ان نفتح الباب .
وفجأة سمعنا صوت سقوط جسم ثقيل وارتطامه بالأرضية .

وبعد لحظة فتحت لنا سندريللا الباب واشارت بالدخول وهي تقول :
– انها بخير .
ورأينا المسز رينولد متهالكة على الفراش تلهث بشدة وتقول :
– كادت ان تخنقني .
والتقطت سندريللا شيئاً من الأرض فقدمته الى بوارو ، وكان عبارة عن سلم من الحبال الحريرية المتينة .
فقال بوارو :
– انه احسن اداة للفرار ، ولعلها كانت ستستخدمه بعد ان تفرغ من مهمتها ، ولكن . اين هي !
فأشارت سندريللا الى فتاة منكفئة على وجهها وراء السرير
فسأل بوارو :
– هل ماتت ؟
– يبدو ان رأسها اصطدم بحافة السرير صدمة شديدة فقتلتها .
وصحت انا قائلاً في دهشة وحيرة :
– ولكن من هي .. عمن تتكلمون !
فرد بوارو :
– انها قاتلة المسيو بول رينولد يا هاستنج ، وهي التي كادت ان تقتل مدام رينولد أيضاً .
وركعت بجوار الجثة مدهوشاً ، ورفعت طرف الثوب الذي كان يغطي رأسها ..
واذا بي ارى امامي وجه .. مارتا دوبريل ..
مارتا دوبريل ..
الفتاة التي ظننتها يوماً آلهة جمال !

- ٢٦ -

ولم ينصت بوارو الى اسئلتي المتوالية في تلك اللحظات ، لأنه كان مشغولاً بتوجيه اللوم الشديد الى فرنسواز لأنها لم تخبره بأن المسز رينولد غيرت غرفة نومها ، إذ نقلتها من الجهة اليسرى الى الجهة اليمنى من واجهة الفيللا

وأمسكت بكتفه فقلت له معاتباً :

– ولكن لا بد انك كنت تعرف ، لقد صعدت لمقابلة المسز رينولد هذا المساء .

فقال :

– لقد قابلتها في غرفة الجلوس الوسطى ، ولم يخبرني أحد أنهـــا غيرت غرفة النوم .

فردت فرنسواز :

– لقد غيرتها بعد وقوع الجريمة مباشرة ، إنها لم تحتمل النوم في الغرفة التي هوجمت فيها ليلة الحادث .

وصاح بوارو بحدة وهو يضرب مائدة أمامه بقبضة يده :

– ولكن لماذا لم تخبروني بهذه الحقيقة ؟ لماذا ؟ إنك امرأة عجوز حمقاء . وكذلك ليونيه ودينيس ! كلكن حمقاوات ، غبيات ، لقد كادت حماقتكن أن تؤدي إلى مقتل سيدتكن لولا شجاعة هذه الآنسة .

ثم أسرع إلى سندريللا وعانقها شاكراً ..
وقطبت انا جبيني لهذا العناق .

إلا ان بوارو صاح بي لأستدعي طبيباً لاسعاف مسز رينولد ، ثم استدعى رجال الشرطة .

واختتم أوامره قائلا :

– ولا داعي لعودتك إلى هنا مرة اخرى ، يمكنك أن تنتظرنا في الفندق .

وانصرفت بوجه مقطب .

وبعد ان قمت بما عهد إلي به ، عدت إلى الفندق ، وعبثاً حاولت ان افهم شيئاً مما حدث .

وأخيراً القيت بنفسي على الفراش ، فاستغرقت في النوم ، ولما استيقظت ورأيت بوارو واقفاً بجانبي في ضوء الصباح وهو يقول :

– اتعرف أن الساعة الآن قد تجاوزت الحادية عشرة صباحاً !

وتوجعت .. ووضعت يدي على رأسي فقلت :

– لا بد اني كنت أحلم ، لقد حلمت إننا وجدنا جثة مارثا دوبريل في غرفة نوم المسز رينولد ، وعلمت انها هي التي قتلت مستر رينولد وكادت ان تقتل السيدة رينولد !

– إنك لم تكن تحلم يا هاستنج ، فهذه هي الحقيقة .

– ولكن .. الم تقتل بيللا دوفين المستر رينولد ، الم تعترف هي بذلك امام المحقق !

– لا يا هاستنج لقد اعترفت بذلك انقاذاً للشاب الذي تحبه .

– ماذا ؟

– أتذكر قصة جاك رينولد ؟ لقد وصل الاثنان في ليلة الحادث إلى مسرح الجريمة في لحظة واحدة ، ومن ثم ظن كل منهما أنه القاتل ، ظن

هو ، حين رآها بجوار جثة ابيه انها القاتلة ، وظنت هي حين لمحته واقفاً بجوار خط الشجر انه القاتل .

وهكذا نظرت اليه في فزع وانطلقت تجري ، ولكن عندما علمت انه اتهم بقتل ابيه وتم القبض عليه ، لم تحتمل هذا الوضع ، فأرادت أن تضحي بنفسها من اجله ، فأسرعت وقدمت نفسها باعتبارها القاتلة .

وتراجع بوارو في مقعده ..

ثم اردف قائلاً :

ـ ولم اقتنع انا بشيء من ذلك كله ، لقد كنت مؤمناً في قرارة نفسي بأن القاتل شخص دبر الجريمة ، أو ـ على الأقل ـ ارتكبها عامداً ، مستغلاً الخطة التي وضعها رينولد لتضليل الشرطة .

ومعنى هذا إن المجرم لا بد قد عرف سلفاً الخطة التي وضعها رينولد فأدى هذا بي إلى الشك في المسز رينولد

ولكن الوقائع اثبتت ان المسز رينولد ليست هي قاتلة زوجها ، فهل هناك احد آخر يمكن ان يكون قد عرف بخطة رينولد ؟

نعم . لقد سمعنا مارتا دوبريل تعترف بأنها سمعت المشاجرة التي حصلت بين المسيو بول والصعلوك الأفاق ، فإذا كانت قد استطاعت ان تسمع هذا ، فلا بد انها سمعت اشياء اخرى ، لاسيما حين جلس رينولد مع زوجته على المقعد القريب من الحادث وراح يتبادل معها الحديث عن الخطة التي اراد بتنفيذها ان يبدو امام العالم « ميتاً » .

اتذكر كيف امكنك بسهولة ان تسمع حديث مارتا مع جاك رينولد وهما جالسان على نفس المقعد ؟

فقلت :

ـ ولكن ما هو الدافع لارتكابها جريمة قتل رينولد .

ـ الدافع ؟ المال طبعاً ! لقد كانت تعتقد حتى آخر لحظة إن جاك

سيرث نصف ثروة ابيه المليونير ، والآن لننظر الى هيكل الجريمة من وجهة نظر مارتا دوبريل .

لقد سمعت مارتا الحديث الذي دار بين رينولد وزوجته وهما جالسان على المقعد الحجري بعد سقوط الصعلوك الأفاق ميتاً بالصرع ، فأدركت من هذا الحديث ان رينولد ـ الذي كان منجماً ذهبياً لها ولأمهـــا ، سوف يختفي تماماً في مكان مجهول .

وخطر لها في اول الأمر ان تمنع ذلك الهرب .

ولكن فكرة اشد جرأة وقسوة خطرت ببالها ، لقد كانت تعلم ان بول رينولد يقف عقبة في طريق زواجها من ابنه

فإذا حاول الابن ان يتحدى أباه ويتزوجها ، فمن المرجح ان يحرم الأب إبنه من الميراث ، ومارتا لم تحب جاك اساساً ، إلا لأنه ابن مليونير .

إنها قد تتظاهر بالحب ، ولكنها ذات طبيعة باردة قاسية مثل معظم الجميلات جداً .. ومثل امها بطبيعة الحال .

وكذلك لم تكن واثقة تماماً من قوة حب جاك لها ، حقـــاً لقد سحرته وسبته من النظرة الأولى .

ولكن .. هل يمكن ان يبقى الفتى على حبهـــا اذا فرق والده بينهما وارسله في مهمة بعيدة لمدة سنة كاملة مثلاً ..

كل هذه الاحتمالات يمكن القضاء عليها اذا مات الأب ، انها بعد وفاتـه يمكنها الزواج من جاك ، وتصبح في غمضة عين زوجة مليونير شاب .

واكد لها ذكاؤها ان الأمر سهل ، فإن رينولد قد دبر خطة يبدو بهـا « ميتاً » أمام العالم ..

وما عليها الا ان تتقدم وتحول « الوهم » الى حقيقة في الوقت المناسب ، وهنا يأتي الدليل الثاني الذي وجه شكوكي الى مارتا دوبريل .

لقد امر جاك الشركة بصنع ثلاثة خناجر من معدن طائرة ، وعلمنا انه

اهدى احداها لأمه ، والثاني لبيللا دوفين ، اليس من المرجح ان يكون قد اهدى الخنجر الثالث لمارتا دوبرويل !

وعلى هذا النحو يمكننا أن نختصر الأدلة ضد مـــارتا دوبريل في هذه النقاط الأربع .

١ - كان في مقدور مارتا ان تسمع خطة رينولد الأب لايهـــام الناس بوفاته .

٢ - كان لمارتا دافع مباشر أو مصلحة مباشرة في التخلص من رينولد الأب

٣ - إن مارتا دوبريل هي إبنة المرأة التي اشتركت مع جورج كونو في قتل زوجها .

٤ - كانت مارتا الانسانة الوحيدة - غير جاك - التي تحتفظ بالخنجر الثالث .

وصمت بوارو برهة .

ثم استطرد يقول :

- ولما سمعت بوجود تلك الفتاة الأخرى بيللا دوفين ، ادركت أن هناك احتمالاً بأن تكون هي القاتلة ، ولكني لم أشعر بالميل الى هذا الاحتمال لسبب بسيط ، وهو ان الانسان لا يتجول عـــادة في الليل ممسكاً في يده بخنجر ، ولكن .. ربما كانت تحمل الخنجر لكي تقتل به جاك ، ولمـــا تقدمت واعترفت بارتكابها للجريمة أمام المحقق ، بدا لي أن القضية انتهت ، ومع ذلك لم أكن مقتنعاً ، لم أكن مطمئناً تماماً .

وعدت استعرض الجريمة مرة أخرى ، وتساءلت في قرارة نفسي ، إذ لم أكن مقتنعاً بأن بيللا هي القاتلة ، فمن يكون القاتل إذن ؟

إن الشخص الوحيد الذي تركزت حوله شكوكي ، كان مارتا دوبريل .. ولكن لم يكن امامي دليل مادي واحد ضدها .

ثم اطلعتني على الرسالة التي أرسلتها اليك دوفين ـ سندريللا ـ وهنا قررت أن أنتهز الفرصة التي سنحت لأضع لشكوكي حداً .

إن الخنجر الذي سرقته سندريللا القت به في عرض بحر المانش ، لأنها ظنت انه الأداة التي ارتكبت بها أختها الجريمة ، ولكن إذا حدث مصادفة ان ذلك الخنجر ليس هو الخنجر الذي أهداه جاك لأختها ، وإنما الخنجر الذي أهداه لمارتا دوبريل ، إذن فالقاتل يكون مارتا دون ادنى شك .

وهكذا إتصلت بدولسي ـ من وراء ظهرك يا هاستنج ـ وطلبت منها أن تبحث في حاجيات اختها عن خنجر صغير مصنوع من معدن الطائرات .

ويمكنك أن تتصور فرحتي عندما جاءت سندريللا ـ تحت اسم المس رينسون ، ومعها الخنجر الذي لقيته في حاجيات اختها .

وفي خلال هذه الفترة كنت قد دبرت خطة لأرغام مارتا دوبريل للكشف عن نفسها أمامنا ، أو بمعنى آخر ، وضعت كميناً للايقاع بها .

ومن ثم اتفقت مع مدام رينولد لكي تهاجم ابنها وتعلن براءتها منه ومن تصرفاته وتهدده بحرمانه من ثروة أبيه إذا هو تزوج بمارتا دوبريل .

وقبلت مدام رينولد التعاون معي ، ولكنها للأسف لم تخبرني بأنها غيرت غرفة نومها .

ولعلها ظنت إني أعرف هذا التغيير منذ ان قامت به .

وهكذا حاولت مارتا أن تقضي على مدام رينولد لتتخلص منها وترث الثروة لجاك ..

ولكنها فشلت كما حدث .

وعندئذ قلت لبوارو :

ـ ولكن كيف استطاعت مارتا ان تدخل الفيللا دون أن نراها ؟ لقد تركناها مع أمها في فيلا مرغريت ، ومع ذلك سبقتنا ودخلت الفيللا

قبلنا ودون أن نراها .

ـ لا يا صديقي .. اننا لم نتركها وراءنا في فيللا مرغريت .. لقد خرجت من النافـذه أثناء حديثنا مع امها ، وانا أشهد ان تلك الفتاة ، حين سبقتنا الى الفيللا ، كادت ان تنتصر علي في اللحظة الأخيرة .

لقد كنت اتوقع ان تأتي بعدنا بمدة ، بنصف ساعة او بساعة او ساعتين ، وبذلك نستطيع انقاذ مدام رينولد دون ان نعرضهـــا للخطر ، ولكن مارتا كانت أشد مما ظننت ، فأسرعت قبلنا الى مدام رينولد لتقضي عليها قبل ان يمنعها احد .

فقلت مدهوشاً :

ـ ولكننا رأينا خيالها وهي جالسة وراء ستار النافذة تشتغل بقطعـة التطريز عندما هممنا بالانصراف من الفيللا .

ـ ان التي رأينا خيالها وراء ستار النافذة جالسة الى قطعة التطريز لم تكن مارتا ، وانما امها ولا تنس ان الأم وابنتها متماثلتان في الطول والمظهر العام ، لقد فعلت الأم ذلك حتى تجعلنا نتوهم انها مارتا .

ولكني لم اتوقف عن الشعور بالدهشة ..

ومن ثم قلت :

ـ هل كانت مارتا واثقة بأنها قادرة على قتل مدام رينولد ببساطة !

فابتسم بوارو وقال :

ـ لقد وجدت بجوار جثة مارتا حقنة مشيئة بكمية قاتلة من المورفين ، وقطعة قطن مبلله بالمخدر . وكان هدفها ان تخدر مدام رينولد بالكلوروفورم ثم تحقنها بالمورفين القاتل ، وفي الصباح تكون رائحة الكلوروفورم قد زالت ويظن المحققون ان السيدة رينولد هي التي حقنت نفسها بالمورفين بسبب اضطراب عقلها بعد الصدمة التي اصابتها .

وصمت بوارو برهة قبل ان يستطرد قائلاً :

ـ ولكن الأمور لم تتم كما اشتهت مـــارثا ، لأن مدام رينولد كانت مستيقظة في انتظارها ، ولهذا قاومت بشدة لم تكن مارثا تتوقعها ، ولما سمعتنا مارثا ونحن ندق الباب ، قررت ان تقتلها خنقاً بيدها ثم تهرب عن طريق السلم ، قبل ان ندخل وننقذها .

وكانت مطمئنة الى ان احداً لن يستطيع ان يثبت عليها تهمة القتل ، او تهمة قتل المسيو رينولد من قبلها ، ومرة اخرى فشلت في محاولتهـا مرة اخرى ، لا بفضل هير كيول بوارو ،وانما بفضل هذه البهلوانة الصغيرة الحسناء ذات اليدين الحديديتين .

فاستعرضت في ذهني الحوادث كلها ..

ثم سألت بوارو :

ـ متى بدأت الشك في الفتاة ؟

ـ اتذكر يا صديقي يوم وصلنا الى ميرلنفيل اول مرة . يوم مررنا بفيللا مرغريت ورأينا هذه الحسناء مارثا دوبريل ، اتذكر ما قلته انت عنها بأنها آلهة جمال ، بينما قلت لك اني لم ار غير فتاة ذات عيون خائفة ! هكذا كان شعوري نحوها ، فتاة خائفة العينين .. لا من اجل حالك .. لأنهـا لم تكن تعرف ان الشاب كان موجوداً في الليلة السابقة .. ليلة وقوع الحادث وانما من اجل نفسها .

ـ وبهذه المناسبة كيف حال الشاب رينولد .

ـ في تحسن كبير وهو لا يزال في فيللا مرغريت ، الا ان السيدة دوبريل اختفت تماماً ، ورجال الشرطة يبحثون عنها في كل مكان .

ـ ذلك ما ارجحه ، ولكننا لن نعرف الحقيقة ابداً ما لم يقبض رجال الشرطة على السيدة دوبريل .

ـ هل علم رينولد بما حدث ؟

ـ ليس بعد ..

– ستكون الصدمة قاسية عليه .

– طبعاً .. ولكني أعتقد ان الحب بينه وبين مــارتا دوبريل لم يكن حباً حقيقياً دائماً ، في رأيي انها لم تكن تحبه إلا من أجل ثروته ، ولهذا كانت تبذل جهدها ليبقى أسير جمالها الباهر . وكان هو مفتوناً بجمالها قبل كل شيء ، والافتتان بالجمال وحده لا يمكن أن يكون حباً قوياً ، أما الحب القوي الحقيقي فهو الذي كان ولا يزال في رأيي ، بين جــاك رينولد وبيللا دوقين ، الا ترى كيف أراد أن يضحي بنفسه حين عرف أن أصابع الاتهام بدأت تتجه اليها .

ألا ترى كيف أسرعت هي للتضحية بنفسها حين سمعت نبأ القبض عليه لقد كان كل منهما بريئاً ، ومع ذلك تقدم لينقذ الآخر .. هذا هو الحب الحقيقي يا عزيزي هاستنج ، تمامــاً كحبك لدولسي دوفين ، الذي جعلك تتخلى – ولو لمدة ليلة واحدة – عن مبادئك وتحاول حمايتها من الاتهام بأي ثمن .

وحدث ما كان بوارو يتوقعه ، لقد تحمل جاك الصدمة بشجاعة حين علم بنبأ مصرع مارتا دوبريل

واستطاعت امه بحنانها ورقتها ان تجتاز به المحنــة في سلام ، واصبح الاثنان ، الأم والابن ، لا يكادان يفترقان .

وكان بوارو قد استطاع أن يقنع مدام رينولد لكي تصارح ابنها بكل شيء ، بماضي ابيه ، وقد قال لها في هذا الشأن :

– إن إخفاء الحقائق لا يجدي يا مدام رينولد ، تذرعي بالشجاعة وصارحيه بكل شيء ..

ووافقت الأم بقلب مثقل بالحزن ، وعلم الابن إن أباه كان هــاربا من العدالة ..

فقال له بوارو :

– هذه هي الحياة يا ولدي ، ولا ذنب لك في كل ما حدث ، ولكن تأكد ان العالم لا يعرف شيئاً ، وليس هناك ما يدعوني لأن أخبر رجـال الشرطة بكل ما أعرفه عن ابيك .

لقد كنت أعمل لحسابه وليس لحساب الشرطة ، ويكفي ان والدك دفع الثمن أخيراً واقتصت منه العدالة .

وهكذا ظلت هناك نقط كثيرة غامضة على شرطة باريس وميرلنفيل ، ولكن بوارو استطاع ، بلباقته ، ان يبعد اذهان رجـــال الشرطة عن هذه النقاط .

وبعد عودتنا إلى لندن بأسبوعين ، اقبل علينا جاك وعلى وجهه إمارات العزم ، فقال :

– اتيت يا سيد بوارو لأودعكم ، سوف أرحل إلى أميركا الجنوبية ، لقد كانت لأبي مصالح كثيرة هناك ، وسوف اذهب لأبدأ حياتي من جديد في تلك المناطق .

– هل ستذهب بمفردك ؟

– ستأتي والدتي معي ، وسأحتفظ بالمستر ستونر كسكرتـــير لي ، وهو يحب الطواف بالعالم .

– الن يذهب معك احد آخر .

واحمر وجهه وتمتم :

– اتعني ؟

– أعني فتاه تحبك حبا قويا ، حبا يجعلها تتقدم للتضحية بنفسها من اجلك ..

– كيف استطيع ان اتقدم اليها بعد كل ما حدث ؟ ماذا اقول لها ؟

– قل لها اي شيء .. إن المرأة حين تحب تكون على استعداد كامل لأن تصدق اي شيء وان تتسامح في اي شيء .

– ولكن . هل تقبل ان تتزوجني وانا .. وانا ابن .. ابي !

وابتسم بوارو فقال :

– إنني اعرف امرأة كان لها من الشجاعة وقوة الاحتمال والقدرة على التضحية ما جعلها تقف بجوار زوجها رغم كل ما عرفته عنه .

– اتعنني .. اتعنني .. امي !

– نعم . وانت ابن امك كما انك ابن ابيك ، اذهب إلى الآنسة بيللا وصارحها بكل شيء ، ثم انظر ماذا ستفعل !

وتردد الشاب لحظة ..

وعاد بوارو يقول له :

– اذهب اليها رجلاً كاملاً صهرته التجارب واصبح في مقدوره ان يواجه الحياة بعقلية جديدة رائعة ، اطلب منها ان تكون لك شريكة في هذه المرحلة الجديدة من حياتك ، إنني واثق بأن الحب بينكما اقوى مما تظن ، إنه حب ازداد قوة بالأحداث والتجارب ، لقد كان كل منكما راغبا في التضحية بحياته من اجل الآخر .

وماذا عني انا . الكابتن ارثر هاستنج .. كاتب هذه السطور !

لقد عرض علي جاك رينولد ان ادير مزرعة ضخمة من مزارع ابيه في جمهورية شيلي ، وما زلت افكر في الأمر .. اما الشيء الذي لم افكر فيه كثيراً فهو الزواج من حبيبة القلب سندريللا .

– تمت –